تابع : تفسير سورة التوبة

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا السّبِيلُ عَلَى الّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما السبيل بالعقوبة على أهل العُذر يا محمد, ولكنها على الذين يستأذنوك في التخلف خلافك وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوّة وطاقة للجهاد والغزو, نفاقا وشكّا في وعد الله ووعيده. رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ يقول: رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهنّ الخوالف خلفَ الرجال في البيوت, ويتركوا الغزو معك. وَطَبَعَ اللّهُ على قُلُوبِهِمْ يقول: وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب. فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا وعظيم البلاء في الآخرة.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى:

{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاّ تَعْتَذِرُواْ لَن نّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمّ تُرَدّونَ إِلَىَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره يعتذر إليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم, التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالأباطيل والكذب إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد: لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ يقول: لن نصدقكم على ما تقولون. قَدْ نَبّأنا الله مِنْ أخْبارِكُمْ يقول: قد أخبرنا الله من أخباركم, وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم. وسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يقول: وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم, أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ثُمّ تُرَدّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشّهادةِ يقول: ثم ترجعون بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة يعني الذي يعلم السرّ والعلانية الذي لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها. فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها, فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيىء منها بالسيىء.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله, إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ يعني: إذا انصرفتم إليهم من غزوكم, لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فلا تؤنبوهم. فأعْرِضُوا عَنْهُمْ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين: فدعوا تأنيبهم وخلوهم, وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق. إنّهُمْ رِجْسٌ ومَأوَاهُمْ جَهَنّمُ يقول: إنهم نجس ومأواهم جهنم, يقول: ومصيرهم إلى جهنم وهي مسكنهم الذي يأوونه في الآخرة. جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَكْسَبُونَ يقول: ثوابا بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله. وذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين قالا ما:

13355ـ حدثنا به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: سَيَحْلِفُون باللّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا... إلى: بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: ألا تغزو بني الأصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم, فإنهم جِسَانٌ فقال رجلان: قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة, فلا تفتنا بهنّ, فأذن لنا فأذن لهما فلما انطلقا, قال أحدهما: إن هو إلا شحمة لأوّل آكل. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولم ينزل عليه في ذلك شيء, فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه: لَوْ كَانَ عَرَضا قَرِيبا وسَفَرا قاصِدا لاتّبَعُوك وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشّقّةُ, ونزل عليه: عَفا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ, ونزل عليه: لا يَسْتَأْذِنُكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ, ونزل عليه: إنّهُمْ رِجْسٌ وَمأوَاهُمْ جَهَنّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم, فأتاهم وهم خلفهم, فقال: تعلمون أن قد أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن, قالوا: ما الذي سمعت؟ قال ما أدري, غير أني سمعت أنه يقول: إنهم رجس, فقال رجل يدعى مخشيّا: والله لوددت أني أجلد مئة جلدة وأني لست معكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك؟ فقال: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وأنا في الكنّ, فأنزل الله عليه: وَمِنْهُمْ مَنُ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِي وَقالُوا لا تَنْفِرُوا في الحَرّ ونزل عليه في الرجل الذي قال: لوددت أني أجلد مئة جلدة, قول الله: لا يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أنْ تُنَزّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ فقال رجل مع رسول الله: لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال له: «أنت صاحب الكلمة التي سمعت؟» فقال: لا والذي أنزل عليك الكتاب فأنزل الله فيه: وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ وأنزل فيه: وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِينَ.

13356ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك, أن عبد الله بن كعب, قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك, جلس للناس, فلما فعل ذلك جاءه المخلفون, فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له, وكانوا بضعة وثمانين رجلاً, فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله وصدقته حديثي. فقال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قَطّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا, إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي, شَرّ ما قال لأحد: سَيَحْلِفُونَ باللّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأعْرِضُوا عَنْهُمْ إنّهُمْ رِجْسٌ وَمأوَاهُمْ جَهَنّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون... إلى قوله: فإنّ اللّهَ لا يَرْضَى عَن القَوْمِ الفاسِقِينَ.

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنّ اللّهَ لاَ يَرْضَىَ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: يَحْلِفُ لَكُمْ أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فإنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فإنّ اللّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ يقول: فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم, إذا كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم, فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون, ومن خفيّ اعتقادهم ما تجهلون, وأنهم على الكفر بالله, يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر بالله ومن الطاعة إلى المعصية.

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى: {الأعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: الأعراب أشدّ جحودا لتوحيد الله وأشدّ نفاقا من أهل الحضر في القرى والأمصار. وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لأهل الخير, فهم لذلك أقسى قلوبا وأقلّ علما بحقوق الله. وقوله: وأجْدَرُ أنْ لا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنْزَلَ اللّهُ على رَسُولِهِ يقول: وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك فيما قال قتادة: السّنَن.

13357ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأجْدَرُ ألاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنْزَلَ اللّهُ على رَسُولِهِ قال: هم أقلّ علما بالسّنن.

13358ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مُقَرّن عن الأعمش, عن إبراهيم, قال جلس أعرابي إلى زيد بن صُوْحان وهو يحدّث أصحابه, وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند, فقال: والله إن حديثك ليعجبني, وإن يدك لتريبني فقال زيد: وما يريبك من يدي, إنها الشّمال؟ فقال الأعرابي: والله ما أدري أليمينَ يقطعون أم الشمال؟ فقال زيد بن صُوحان: صدق الله: الأعْرَابُ أشَدّ كُفْرا وَنِفاقا وأجْدَرُ أنْ لا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أنْزَلَ اللّهُ على رَسُولِهِ.

وقوله: وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله, والمنافق من خلقه والكافر منهم, لا يخفى عليه منهم أحد, حكيم في تدبيره إياهم, وفي حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءه.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الأعْرَابِ مَن يَتّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبّصُ بِكُمُ الدّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يَعُدّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم أو في بعض ما ندب الله إليه عباده مَغْرما يعني غُرْما لزمه لا يرجو له ثوابا ولا يدفع به عن نفسه عقابا. وَيَتَرَبّص بِكُمُ الدّوَائِرَ يقول: وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الأيام والليالي إلى مكروه ونفي محبوب, وغلبة عدوّ لكم. يقول الله تعالى ذكره: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوْءِ يقول: جعل الله دائرة السوء عليهم, ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون, ولا بكم, والله سميع لدعاء الداعين, عليم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم إليه صائرون من أليم عقابه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13359ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: ومِنَ الأعْرَابِ مَنْ يَتّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَما وَيَتَرَبّصُ بِكُمُ الدّوَائِرَ قال: هؤلاء المنافقون من الأعراب الذين إنما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا, أو يحاربوا, أو يقاتلوا, ويرون نفقتهم مَغْرما, إلا تراه يقول: وَيَتَرَبّصُ بِكُمُ الدّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوْءِ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأ عامة أهل المدينة والكوفة: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوْءِ بفتح السين, بمعنى النعت للدائرة, وإن كانت الدائرة مضافة إليه, كقولهم: هو رجل السوء, وامرؤ الصدق, كأنه إذا فتح مصدر من قولهم: سؤته أسوءة سَوْءا ومساءة ومَسَائِيةً. وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين: «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوء» بضمّ السين كأنه جعله اسما, كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب. ومن قال: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوءِ فضمّ, لم يقل هذا رجل السّوء بالضمّ, والرجل السّوء, وقال الشاعر:

وكُنْتَ كَذِئْبَ السّوْءِ لَمّا رأى دَمابِصَاحِبِه يَوْما أحالَ عَلى الدّم

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين, بمعنى: عليهم الدائرة التي تسوءهم سَوْءا كما يقال هو رجلٌ صِدْقٌ على وجه النعت.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الأعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ وَيَتّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ أَلآ إِنّهَا قُرْبَةٌ لّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن الأعراب من يصدق الله ويقرّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب, وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرُباتٍ عِنْدَ اللّهِ القربات: جمع قُرْبة, وهو ما قربه من رضا الله ومحبته. وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ,يعني بذلك: ويبتغي بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له.

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13360ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ يعني استغفار النبيّ عليه الصلاة والسلام.

13361ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: ومِنَ الأعْرَابِ مَنْ يَتّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ قال: دعاء الرسول, قال: هذه ثنية الله من الأعراب.

13362ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللّهِ واليَوْمِ الاَخِرِ قال: هم بنو مقرن من مزينة, وهم الذين قال الله فيهم: وَلا على الّذِينَ إذَا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْع حَزَنا قال: هم بنو مُقَرن من مزينة.

13363ـ قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: الأعْرَابُ أشَدّ كُفْرا وَنِفاقا ثم استثنى فقال: وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللّهِ وَاليَوْمِ الاَخِرِ... الآية.

13364ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا جعفر, عن البختري بن المختار العبدي, قال: سمعت عبد الله بن مُغَفّل قال: كنا عشرة ولد

مُقَرّن, فنزلت فينا: وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ... إلى آخر الآية.

قال الله: أَلاَ إنهَا قُرْبةٌ لَهُمْ يقول تعالى ذكره: ألا إن صلوات الرسول قربة لهم من الله, وقد يحتمل أن يكون معناه: ألا إن نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله. سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ في رحْمَتِهِ يقول: سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة, إن الله غفور لما اجترموا, رحيم بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالسّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالّذِينَ اتّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم, والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله: والّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ يقول: والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام, طَلَبَ رضا الله, رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: والسّابِقُونَ الأوّلُونَ فقال بعضهم: هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا. ذكر من قال ذلك:

13365ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن إسماعيل, عن عامر: والسّابِقُونَ الأوّلُونَ قال: من أدرك بيعة الرضوان.

قال: حدثنا ابن فضيل, عن مطرف, عن عامر, قال: المُهاجِرُونَ الأوّلُونَ من أدرك البيعة تحت الشجرة.

حدثنا ابن بشار, قال حدثنا يحيى, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبي, قال: المُهاجِرُونَ الأوّلون الذين شهدوا بيعة الرضوان.

13366ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن مطرف, عن الشعبيّ, قال: المهاجرون الأوّلون: من كان قبل البيعة إلى البيعة فهم المهاجرون الأولون, ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الأوّلين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل ومطرّف عن الشعبي, قال: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ هم الذين بايعوا بيعة الرضوان.

13367ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن داود, عن عامر, قال: فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان, وهي بيعة الحُديبية.

حدثني المثنى, قال: أخبرنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ومطرّف, عن الشعبي, قال: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عبثر أبو زبيد, عن مطرف, الشعبي, قال: المهاجرون الأوّلون: من أدرك بيعة الرضوان.

وقال آخرون: بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
13368ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن قيس, عن عثمان الثقفي, عن مولى لأبي موسى, عن أبي موسى, قال: المهاجرون الأوّلون: مَنْ صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم.
حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس بن الربيع, عن عثمان بن المغيرة, عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير, عن مولى لأبي موسى, قال: سألت أبا موسى الأشعري, عن قوله: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ قال: هم الذين صلوا القبلتين جميعا.
13369ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي هلال, عن أبي قتادة, قال: قلت لسعيد بن المسيب: لم سموا المهاجرين الأوّلين؟ قال: من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا, فهو من المهاجرين الأوّلين.
13370ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن ابن أبي عروبة, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, قال: المهاجرون الأوّلون: الذين صلوا القبلتين.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيّبِ, قوله: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ قال: هم الذين صلوا القبلتين جميعا.
حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عباس بن الوليد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, مثله.
13371ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن بعض أصحابه, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, وعن أشعث, عن ابن سيرين في قوله: السّابِقُونَ الأوّلُونَ قال: هم الذين صلوا القبلتين.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا معاذ بن معاذ, قال: حدثنا ابن عون, عن محمد, قال: المهاجرون الأوّلون: الذين صلوا القبلتين.
13372ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ قال: هم الذين صلوا القبلتين جميعا.
وأما الذين اتبعوا المهاجرون الأوّلين والأنصار بإحسان, فهم الذين أسلموا لله إسلامهم وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير. كما:
13373ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب, قال: مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصَارِ والّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ قال: من أقرأك هذه الآية؟ قال أقرأنيها أبيّ بن كعب. قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فأتاه فقال: أنت أقرأت هذا هذه الآية؟ قال نعم, قال: وسمعَتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا. قال: وتصديق ذلك في أوّل الآية التي في أوّل الجمعة, وأوسط الحشر, وآخر الأنفال أما أوّل الجمعة: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ, وأوسط الحشر: وَالّذِينَ جَاءُوا مِنَ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوانِنا الّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ, وأما آخر الأنفال: والّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وجَاهَدُوا مَعَكُمْ فأولَئِكَ مِنْكُمْ.

حدثنا أبو كريب, حدثنا الحسن بن عطية, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب القرظي, قال: مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ: السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصَارِ... حتى بلغ: وَرَضُوا عَنْهُ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبيّ بن كعب. فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم, قال: أنت سمعَتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم, قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا, فقال أبيّ: بلى تصديق هذه الآية في أوّل سورة الجمعة: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ... إلى: وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ, وفي سورة الحشر: وَالّذِينَ جَاءُوا مِنَ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوانِنا الّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ, وفي الأنفال: والّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وجَاهَدُوا مَعَكُمْ فأُلَئِكَ مِنْكُمْ... إلى آخر الآية.

ورُوِي عن عمر في ذلك ما:

13374ـ حدثني به أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن حبيب بن الشهيد, وعن ابن عامر الأنصاري, أن عمر بن الخطاب قرأ: «السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارُ الّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ» فرفع «الأنصار» ولم يلحق الواو في «الذين», فقال له زيد بن ثابت: «والذين اتبعوهم بإحسان», فقال عمر: «الذين اتبعوهم بإحسان». فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم فقال عمر: ائتوني بأبيّ بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك, فقال أبي: والّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ فقال عمر: إذا تُتابع أبيّا.

والقراءة على خفض «الأنصار» عطفا بهم على «المهاجرين». وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ: «الأنصارُ» بالرفع عطفا بهم على «السابقين».

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الخفض في «الأنصار», لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والأنصار. وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع, وإلحاق الواو في «الذين اتبعوهم بإحسان», لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعا, على أن التابعين بإحسان غير المهاجرين والأنصار. وأما السابقون فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله: رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ ورضُوا عَنْهُ ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه, ورضي عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار, والذين اتبعوهم بإحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه وإيمانهم به وبنبيه عليه الصلاة والسلام, وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار يدخلونها خالدين فيها لابثين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها, ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِمّنْ حَوْلَكُمْ مّنَ الأعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذّبُهُم مّرّتَيْنِ ثُمّ يُرَدّونَ إِلَىَ عَذَابٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون, ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون. وقوله: مَرَدُوا على النّفاقِ يقول: مرنوا عليه ودربوا به, ومنه شيطان مارد ومريد: وهو الخبيث العاتي, ومنه قيل: تمرّد فلان على ربه: أي عتا ومرد على معصيته واعتادها.

وقال ابن زيد في ذلك, ما:
13375ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَردُوا على النّفاقِ قال: أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون.
13376ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَردُوا على النّفاقِ أي لجّوا فيه وأبو غيره. لا تَعْلَمُهُمْ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة, ولكنا نحن نعلمهم. كما:
13377ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله:
وَمِمّنْ حَوْلَكُمْ مِن الأعْرَابِ مُنافِقُون... إلى قوله: نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ قال: فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار, فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس, ولقد تكلفت شيئا ما تكلفته الأنبياء قبلك قال نبيّ الله نوح عليه السلام: وما عِلْمِي بِمَا كانُوا يَعْمَلُون, وقال نبي الله شعيب عليه السلام: بَقِيّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ وما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ, وقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: لا تَعْلَمُهُمْ نحْنُ نَعْلَمُهُمْ.
وقوله: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ يقول: سنعذّب هؤلاء المنافقين مرّتين: إحداهما في الدنيا, والأخرى في القبر.
ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي فقال بعضهم: هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
13378ـ حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن أبي مالك, عن ابن عباس, في قول الله: وَمِمّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنَافِقُون مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النّفاقِ... إلى قوله: عَذَابٍ عَظِيمٍ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة, فقال «اخْرُجْ يا فُلانُ فإنّكَ مُنافِقٌ اخْرُج يا فُلانُ فإنّك مُنافِقٌ» فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم. فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد, فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة, وظنّ أن الناس قد انصرفوا واختبئوا هم من عمر, ظنوا أنه قد علم بأمرهم. فجاء عمر فدخل المسجد, فإذا الناس لم يصلوا, فقال له رجل من المسلمين: أبشر يا عمر, فقد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذاب الأوّل حين أخرجهم من المسجد, والعذاب الثاني: عذاب القبر.
13379ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن السدي, عن أبي مالك: سَنُعَذّبُهم مَرّتَيْنِ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب, فيذكر المنافقين فيعذّبهم بلسانه, قال: وعذاب القبر. ذكر من قال ذلك:
13380ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: القتل والسباء.

13381ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ بالجوع, وعذاب القبر. قال: ثُمّ يُرَدّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ يوم القيامة.
13382ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: بالجوع والقتل, وقال يحيى: بالخوف والقتل.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: بالجوع والقتل.
13383ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن السدي, عن أبي مالك: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: بالجوع, وعذاب القبر.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: بالجوع والقتل.
وقال آخرون: معنى ذلك: سنعذّبهم عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة. ذكر من قال ذلك:
13384ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ عذاب الدنيا وعذاب القبر. ثُمّ يُرَدّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى حذيفة باثني عشر رجلاً من المنافقين, فقال: «سِتّة مِنْهم تَكْفِيكَهُمُ الدّبيلة, سِرَاجٌ مِنْ نَارِ جَهَنّم يأْخُذُ في كَتِفِ أَحَدِهِمْ حتى يُفْضي إلى صَدْرِهِ, وسِتّة يموتون مَوْتا» ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ونظر إلىَ حذيفة, فإن صلى عليه صلى عليه وإلا تركه. وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة: أنشدك الله أمنهم أنا؟ قال: لا والله, ولا أؤمن منها أحدا بعدك
13385ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: عذاب الدنيا وعذاب القبر.
13386ـ حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء, قالا: حدثنا بدل بن المحبر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: عذابا في الدنيا وعذابا في القبر.
13387ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردونَ إلى عذاب النار.
وقال آخرون: كان عذابهم إحدى المرّتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم, والمرّة الأخرى في جهنم. ذكر من قال ذلك:
13388ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: أما عذاب في الدنيا: فالأموال والأولاد, وقرأ قول الله: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِها فَي الحَياةِ الدّنْيا بالمصائب فيهم, هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر. قال: وعذاب في الآخرة في النار. ثُمّ يُرَدّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ قال: النار.
وقال آخرون: بل إحدى المرّتين: الحدود, والأخرى: عذاب القبر. ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضيّ.
وقال آخرون: بل إحدى المرّتين: أخذ الزكاة من أموالهم, والأخرى: عذاب القبر. ذُكر ذلك عن سليمان بن أرقم, عن الحسن.
وقال آخرون: بل إحدى المرّتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام. ذكر من قال ذلك:

13389ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: سَنُعَذّبُهُمْ مَرّتَيْنِ قال: العذاب الذي وعدهم مرّتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الإسلاَم وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة, ثم عذابهم في القبر إذ صاروا إليه, ثم العذاب العظيم الذي يردّونَ إليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرّتين, ولم يضع لنا دليلاً نتوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم, وليس عندنا علم بأيّ ذلك من بأيّ. على أن في قوله جلّ ثناؤه: ثُمّ يِرَدّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ دلالة على أن العذاب في المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار, والأغلب من إحدى المرّتين أنها في القبر. وقوله: ثُمّ يُرَدّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ يقول: ثم يردّ هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله إياهم مرّتين إلى عذاب عظيم, وذلك عذاب جهنم.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق, ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم, يقول: أقرّوا بذنوبهم. خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا يعني جلّ ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيىء: اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها, والآخر السيىء هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا, وتركهم الجهاد مع المسلمين,

فإن قال قائل: وكيف قيل: خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئا, وإنما الكلام: خلطوا عملاً صالحا بآخر سيىء؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك, فكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل ذلك كذلك, وجائز في العربية أن يكون بآخر كما تقول: استوى الماء والخشبة أي بالخشبة, وخلطت الماء واللبن. وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم: استوى الماء والخشبة. واعتلّ في ذلك بأن الفعل في الخلط عامل في الأول والثاني, وجائز تقديم كلّ واحد منهما على صاحبه, وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز في قولهم: استوى الماء والخشبة, وكان ذلك عندهم دليلاً على مخالفة ذلك الخلط.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أنه بمعنى قولهم: خلطت الماء واللبن, بمعنى خلطته باللبن.

عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ يقول: لعلّ الله أن يتوب عليهم. وعسى من الله واجب, وإنما معناه: سيتوب الله عليهم, ولكنه في كلام العرب على ما وصفت. إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها رحيم أن يعذّبه بها.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآية والسبب الذي من أجله أنزلت فيه, فقال بعضهم: نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, منهم أبو لبابة, فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السواري عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم. ذكر من قال ذلك:

13390ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ

سَيّئا قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد, وكان ممرّ النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم, فلما رآهم قال: «مَنْ هَؤُلاَءِ المُوَثّقُونَ أنْفُسَهُمْ بالسّواري؟» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «وأنا أُقْسِمُ باللّهِ لا أُطْلِقُهُمْ وَلا أَعْذِرُهُمْ حتى يَكُونَ اللّهَ هُوَ الّذِي يُطْلِقَهُمْ رَغِبُوا عَنّي وَتَخَلّفُوا عَنِ الغَزْوِ مَعَ المُسْلِمِينَ» فلما بلغهم ذلك, قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا فأنزل الله تبارك وتعالى: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وعسى من الله واجب. فلما نزلت. أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم, فأطلقهم وعذرهم.

وقال آخرون: بل كانوا ستة, أحدهم أبو لبابة, ذكر من قال ذلك:

13391ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا عَسَى اللّهُ... إلى قوله: إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك, فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. ثم إن أبا لُبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهَلَكة, وقالوا: نكون في الكنّ والطمأنينة مع النساء, ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد؟ والله لنوثِقنّ أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد, وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته, وكان طريقه في المسجد, فمرّ عليهم فقال: «مَنْ هَولاءِ المُوثِقُو أنْفُسِهِمْ بالسّواري؟» فقالوا: هذا أبو لُبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم, وقد اعترفوا بذنوبهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واللّهِ لا أُطْلِقُهُمْ حتى أُومَر بإطْلاقِهِمْ, ولا أَعْذِرُهُمْ حتى يَكُونَ اللّهُ هُو يَعْذُرُهُمْ, وقَدْ تَخَلّفُوا عَنّي وَرَغِبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوِ المُسْلِمِينَ وَجِهَادِهِمْ» فأنزل الله برحمته: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعسى من الله واجب. فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم, وتجاوز عنهم.

وقال آخرون: الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية. ذكر من قال ذلك:

13392ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن زيد بن أسلم: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسواري, منهم كَرْدم ومِرْداس وأبو لُبابة.

13393ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: الذين ربطوا أنفسهم بالسواري: هلال, أبو لُبابة, وكَردم, ومِرْداس, وأبو قيس.

وقال آخرون: كانوا سبعة. ذكر من قال ذلك:
13394ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ذُكر لنا أنهم كانوا سبعة رَهْط تخلفوا عن غزوة تبوك, فأما أربعة فخلَطوا عملاً صالحا وآخر سيئا: جَدّ بن قيس, وأبو لُبابة, وحَرام, وأوس, وكلهم من الأنصار, وهم الذين قيل فيهم: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ... الآية.
13395ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاوآخَرَ سَيّئا قال: هم نفر ممن تخلف عن تبوك: منهم أبو لَبابة, ومنهم جد بن قيس تِيبَ عليهم. قال قتادة: وليسوا بثلاثة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ قال: هم سبعة, منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك, وليسوا بالثلاثة.
13396ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقو ل في قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا نزلا في أبي لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته, وكان قريبا من المدينة, ندموا على تخلفهم عن رسول الله, وقالوا: نكون في الظلال والأطعمة والنساء, ونبيّ الله في الجهاد واللأواء؟ والله لنوثقنّ أنفسنا بالسواري ثم لا نطلقها حتى يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا وأوثقوا أنفسهم, وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم, فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته, فمرّ في المسجد وكان طريقه, فأبصرهم, فسأل عنهم, فقيل له: أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبيّ الله, فصنعوا بأنفسهم ما ترى, وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «لا أُطْلِقُهُمْ حتى أُومَرَ بإطْلاقِهِمْ, وَلا أعْذُرُهُمْ حتى يَعْذُرُهُمُ اللّهُ, قَدْ رَغِبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ غَزْوَةِ المُسْلِمِينَ». فأنزل الله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ... إلى: عَسَى اللّهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وعسى من الله واجب. فأطلقهم نبي الله وعذرهم.
وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه منه ما كان من أمره في بني قريظة. ذكر من قال ذلك:
13397ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ قال: نزلت في أبي لبابة قال لبني قريظة ما قال.
13398ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال, أشار إلى حلقه: إن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فذكره نحوه, إلا أنه قال: إن نزلتم على حكمه.

13399ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد: ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية, فقال لا أحلّ نفسي حتى يحلني الله ورسوله قال: فحله النبي صلى الله عليه وسلم, وفيه أنزلت هذه الآية: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا... الآية.

13400ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن ليث, عن مجاهد: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ قال: نزلت في أبي لبابة.

وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك. ذكر من قال ذلك:

13401ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال الزهري: كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, فربط نفسه بسارية, فقال: والله لا أحلّ نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغشيّا عليه. قال: ثم تاب الله عليه, ثم قيل له: قد تيب عليك يا أبا لبابة, فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحلني قال: فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحلّه بيده. ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب, وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: «يَجْزِيكَ يا أبا لُبابَةُ الثُّلُثُ».

وقال بعضهم: عني بهذه الآية الأعرابُ. ذكر من قال ذلك:

13402ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا قال: فقال إنهم من الأعراب.

13403ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن حجاج بن أبي زينب, قال: سمعت أبا عثمان يقول: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ... إلى: إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك, وأن الذين نزل فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة,

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك, لأن الله جلّ ثناؤه قال: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم, ولم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده. فإذا كان ذلك, وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ بالاعتراف بذنوبهم جماعة, علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد, فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة, وكان لا جماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صحّ ما قلنا في ذلك, وقلنا: كان منهم أبو لبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِهَا وَصَلّ عَلَيْهِمْ إِنّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتُزَكّيهمْ بِها يقول: وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها, إلى منازل أهل الإخلاص. وَصَلّ عَلَيْهِمْ يقول: وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم, وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ منها. إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم. وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم ولغير ذلك من كلام خلقه, عليم بما تطلب بهم بدعائك ربك لهم وبغير ذلك من أمور عباده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13404ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: جاءوا بأموالهم يعني أبا لبابة وأصحابة حين أطلقوا فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدّق بها عنا واستغفر لنا قال: «ما أُمِرْتُ أن آخُذَ مِنْ أمْوَالِكُمْ شَيْئا». فأنزل الله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص. وَصَلّ عَلَيْهِمْ يقول: استغفر لهم.

13405ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه, انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم, فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: خذ من أموالنا فتصدق به عنا, وصلّ علينا يقولون: استغفر لنا وطهرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا آخُذُ مِنْها شَيْئا حتى أُومَرَ» فأنزل الله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها وَصَلّ عَلَيْهِمْ إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ يقول: استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا. فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا من أموالهم, فتصدّق بها عنهم.

13406ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن زيد بن أسلم, قال: لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسواري, قالوا: يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل الله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ... الآية.

13407ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, قال: قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا الله عنهم يا نبيّ الله طهر أموالنا فأنزل الله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها, وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله, وكان عمى منهم اثنان, فلم يزل الآخر يدعوا حتى عمى.

13408ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: الأربعة: جّد بن قيس, وأبو لبابة, وحرام, وأوس, وهم الذين قيل: فيهم: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها وَصَلّ عَلَيْهِمْ إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ أي وقار لهم. وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدّقوا.

13409ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سلمان, قال: سمعت الضحاك, قال: لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه, أتوا نبيّ الله بأموالهم, فقالوا: يا نبيّ الله خذ من أموالنا فتصدّق به عنا, وطهرنا وصل علينا يقولون: استغفر لنا. فقال نبيّ الله: «لا آخُذُ مِنْ أمْوَالِكُمْ شَيْئا حتى أُومَرَ فِيها». فأنزل الله عزّ وجلّ:

خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ من ذنوبهم التي أصابوا. وَصَلّ عَلَيْهِمْ يقول: استغفر لهم. ففعل نبيّ الله عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به.

13410ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً أبو لبابة وأصحابه. وَصَلّ عَلَيْهِمْ يقول: استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا.

13411ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها وَصَلّ عَلَيْهِمْ إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ قال: هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, اعترفوا بالنفاق وقالوا: يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا, ولكن توبة جديدة وصدقة نخرجها من أموالنا فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها بعد ما قال: وَلا تُصَلّ عَلى أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ.

واختلف أهل العربية في وجه رفع «تزكيهم», فقال بعض نحويي البصرة: رفع «تزكيهم بها» في الابتداء وإن شئت جعلته من صفة الصدقة, ثم جئت بها توكيدا, وكذلك «تطهرهم». وقال بعض نحويي الكوفة: إن كان قوله: تُطَهّرُهُمْ للنبيّ عليه الصلاة والسلام فالاختيار أن تجزم بأنه لم يعد على الصدقة عائد, وَتُزَكّيهِمْ مستأنف, وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما.

قال أبو جعفر: والصواب في ذلك من القول أن قوله: تُطَهّرُهُمْ من صلة «الصدقة», لأن القرّاء مجمعة على رفعها, وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة. وأما قوله: وَتُزَكّيهِم بها فخبر مستأنف, بمعنى: وأنت تزكيهم بها, فلذلك رفع.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ فقال بعضهم: رحمة لهم. ذكر من قال ذلك:

13412ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ يقول: رحمة لهم.

وقال آخرون: بل معناه: إن صلاتك وقار لهم. ذكر من قال ذلك:

13413ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ: أي وقار لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته قرّاء المدينة: «إنّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ» بمعنى دعواتك. وقرأ قرّاء العراق وبعض المكيين: إنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ بمعنى إن دعاءك. وكأن الذين قرءوا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحّ لأن في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله: «إنّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ» إذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك, والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا. وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات, ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد, وإذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصّدَقَاتِ وَأَنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ليسا إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, وأن نبيّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم, وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد, وأن محمدا إنما يفعل ما يفعل من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله.
فقال جلّ ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري, القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا, السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الصدقة أموالهم أن ذلك ليس إلى محمد, وأن ذلك إلى الله, وأن الله هو الذي يقبل من تاب عباده أو يردّها, ويأخذ صدقة من تصدق منهم, أو يردّها عليه دون محمد, فيوجهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله, ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره, ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم, ويعلموا أن الله هو التوّاب الرحيم؟ يقول: المرجع بعبيده إلى العفو عنه إذا رجعوا إلى طاعته, الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه.
وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:
13414ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال الآخرون, يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء يعني الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون, فما لهم, فقال الله: إنّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأخُذُ الصّدَقَاتِ وأنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ.
13415ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس إليه قال شعبة: قال العوّام بن حوشب: هو قتادة, أو ابن قتادة, رجل من محارب قال سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره, قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما من عبد تصدّق بصدقة إلا وقعت في يد الله, فيكون هو الذي يضعها في يد السائل. وتلا هذه الآية: هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأخُذُ الصّدَقَاتِ.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن عبد الله بن السائب, عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي, عن عبد الله بن مسعود قال: ما تصدّق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل. ثم قرأ: أَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأخُذُ الصّدَقَاتِ.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن السائب, عن عبد الله بن أبي قتادة, عن ابن مسعود, بنحوه.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن عبد الله بن السائب, عن عبد الله بن أبي قتادة, قال: قال عبد الله: إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل, ثم قرأ هذه الآية: هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأخُذُ الصّدَقَاتِ.
13416ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عباد بن منصور, عن القاسم, أنه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَقْبَلُ الصّدَقَة, ويَأْخُذَها بِيَمينِهِ, فَيُرَبّيها لأحَدِكُمْ كمَا يُرَبّي أحَدُكُمْ مُهْرَهُ, حتى إنّ

اللّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ وتصديق ذلك في كتاب الله: أن اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأْخُذُ الصّدَقَاتِ و يَمْحَقُ اللّهُ الرّبا ويُرْبي الصّدَقاتِ».

حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الربى, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سفيان, عن عباد بن منصور, عن القاسم, عن أبي هريرة, ولا أراه إلا قد رفعه, قال: «إنّ اللّهَ يَقْبَلُ الصّدَقَةَ», ثم ذكر نحوه.

13417ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال: إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب, ويأخذها بيمينه, وإن الرجل يتصدّق بمثل اللقمة, فيربيها الله له, كما يربى أحدكم فصيله أو مهره, فتربو في كفّ الله أو قال في يد الله حتى تكون مثل الجبل.

13418ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأْخُذُ الصّدَقَاتِ ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «والّذِي نَفْسُ محَمّد بِيَدِهِ, لا يَتَصَدّق رَجُلٌ بِصَدَقَة فَتَقَعَ فِي يَدِ السّائِلِ حتى تَقَعَ فِي يَدِ اللّهِ».

13419ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وأن اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ يعني إن استقاموا.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدّونَ إِلَىَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك: اعْمَلُوا لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه, فَسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم, ويراه رسوله. وَالمُؤْمِنُونَ في الدنيا وَسَيُرَدّونَ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم, فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركُمْ وظواهرها. فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون, وما منه خالصا وما منه رياء وما منه طاعة وما منه لله معصية, فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم, المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

13420ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤْمِنُونَ قال: هذا وعيد.

الآية : 106

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ إِمّا يُعَذّبُهُمْ وَإِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم شخصتم لعدوّكم أيها المؤمنون آخرون. ورفع قوله آخرون عطفا على قوله: وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيّئا. وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ يعني مرجئون لأمر الله وقضائه, يقال منه أرجأته أرجئه إرجاءً وهو مُرْجَأٌ بالهمز وترك الهمز, وهما لغتان معناهما واحد, وقد قرأت القرّاء بهما جميعا. وقيل: عنى بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, فندموا على ما فعلوا ولم يتعذروا إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم عند مقدمه, ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري, فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحت توبتهم, فتاب عليهم وعفا عنهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13421ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: وكان ثلاثة منهم يعني من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسواري أرجئوا سبتة لا يدرون أيعذّبون أو يتاب عليهم. فأنزل الله: لَقَدْ تَابَ اللّهُ على النّبِيّ وَالمْهاجِرِينَ... إلى قوله: إنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ.
13422ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما نزلت هذه الآية يعني قوله: خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِمْ بِها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم يعني من أموال أبي لبابة وصاحبيه فتصدّق بها عنهم, وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة, ولم يوثقوا, ولم يذكروا بشيء, ولم ينزل عذرهم, وضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وهم الذين قال الله: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ إمّا يُعَذّبُهُمْ وَإمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيمٌ حَكِيمٌ فجعل الناس يقولون: هلكوا إذا لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم فصاروا مرجئين لأمر الله, حتى نزلت: لَقَدْ تَابَ اللّهُ على النّبِيّ وَالمْهاجِرِينَ والأنْصَارِ الّذِينَ اتّبَعُوه فِي ساعَة العُسْرَةِ الذين خرجوا معه إلى الشام مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمّ تابَ عَلَيْهِمْ إنّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. ثم قال: وَعلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا يعني المرجئين لأمر الله نزلت عليهم التوبة فعُمّوا بها, فقال: حتى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنْفُسُهُمْ... إلى قوله: إنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ.
13423ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن حماد بن زيد, عن أيوب, عن عكرمة: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ قال: هم الثلاثة الذين خلفوا.
13424ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ قال: هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الأوس والخزرج.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الأوس والخزرج.
قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
13425ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, مثله.
13426ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد غير أبي لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم, فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين: فرقة تقول: هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في

أبي لبابة وأصحابه, وتقول فرقة أخرى: عسى الله أن يعفو عنهم وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته, فقال: لَقَدْ تَابَ اللّهُ على النّبِيّ وَالمْهاجِرِينَ... الآية, وأنزل الله: وَعلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا... الآية.

13427ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ قال: كنا نُحَدّثُ أنهم الثلاثة الذين خلفوا: كعب بن مالك, وهلال بن أمية, ومرارة بن الربيع, رهط من الأنصار.

13428ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ قال: هم الثلاثة الذين خلفوا.

13429ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللّهِ إمّا يُعَذّبُهُمْ وإمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وهم الثلاثة الذين خلوا, وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتتهم توبتهم من الله.

وأما قوله: إمّا يُعَذّبُهُمْ فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم فيعذّبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة. وإمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم, فيغفر لهم. واللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب, حكيم في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه, لا يدخل حكمه خلل.

الآية : 107

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَالّذِينَ اتّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاّ الْحُسْنَىَ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين ابتنوا مسجدا ضرارا, وهم فيما ذكرنا اثنا عشر نفسا من الأنصار. ذكر من قال ذلك:

13430ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري ويزيد بن رومان, وعبد الله بن أبي بكر, وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم, قالوا: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان, بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك, فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية, وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلّى لنا فيه فقال: «إنّي على جَناحِ سَفَرٍ وَحالِ شُغْلٍ» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَلَوْ قَدْ قَدِمْنا أتَيْناكُمْ إنْ شاءَ اللّهُ فَصَلّيْنَا لَكُمْ فِيهِ». فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد, فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عديّ أو أخاه عاصم بن عديّ أخا بني العجلان, فقال: «انْطَلِقا إلى هَذَا المَسْجِدِ الظّالِمِ أهْلُهُ فاهْدِمَاهُ وَحَرّقاهُ» فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف, وهم رهط مالك بن الدخشم, فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل, فأشعل فيه نارا, ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله, فحرّقاه وهدماه, وتفرّقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجِدا ضِرارا وكُفْرا إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق, وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد, ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد,

وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد, وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف عمرو بن عوف, وجارية بن عامر وأبناه: مجمع بن جارية, وزيد بن جارية, ونبتل بن الحرث وهم من بني ضبيعة, وبَخْدَج وهو إلى بني ضبيعة, وبجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة, ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر..

فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادّتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرّقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا. وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ يقول: وإعدادا له, لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله, وكفر بهما وقاتل رسول الله مِنْ قَبْلُ يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد. وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حَزّبَ الأحزاب, يعني حَزّبَ الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلما خذله الله, لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبيّ الله, وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ففعلوا ذلك.

وهذا معنى قول الله جلّ ثناؤه: وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنّ إنْ أرَدْنا إلاّ الحُسْنَى يقول جلّ ثناؤه: وليحلفنّ بانوه إن أردنا إلا الحسنى ببنائناه إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة وعن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه. وتلك هي الفعلة الحسنة. واللّهُ يَشْهَدُ إنّهُمْ لَكاذِبُونَ في حلفهم ذلك, وقيلهم ما بنيناه إلا ونحن نريد الحسنى, ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوآى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لأبي عامر الفاسق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13431ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا, فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم, واستعدوا بما استطعتم من قوّة ومن سلاح, فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتُوا النبي عليه الصلاة والسلام, فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا, فنحبّ أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله فيه: لا تَقُمْ فِيهِ أبَدا لَمَسْجِدٌ أسّسَ على التّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ أحَقّ أنْ تَقُومَ فِيهِ... إلى قوله: واللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ.

13432ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا وَتَفْريقا بينَ المُؤْمِنِينَ قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء, خرج رجال من الأنصار منهم بخدج جدّ عبد الله بن حنيف, ووديعة بن حزام, ومجمع بن جارية الأنصاري, فبنوا مسجد النفاق, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبخدج: «وَيْلَكْ ما أرَدْتَ إلى ما أرَى؟» فقال: يا رسول الله, والله ما أردت إلا الحسنى وهو كاذب. فصدّقه رسول الله وأراد أن يعذره, فأنزل الله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا وتَفْرِيقا بينَ المُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ يعني رجلاً منهم يقالَ له أبو

عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان قد انطلق إلى هرقل, فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلي فيه, وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ورسوله. وَلَيَحْلِفُنّ إنْ أرَدْنا إلاّ الحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إنّهُمْ لَكاذِبُونَ.

13433ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: وَإرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ قال: أبو عامر الراهب انطلق إلى قيصر, فقالوا: إذا جاء يصلي فيه. كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم.

13434ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبي عامر الراهب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

13435ـ قال: حدثنا أبو إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا وَتَفْرِيقا بِينَ المُؤْمِنِينَ قال: نزلت في المنافقين. وقوله: وَإرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ قال: هو أبو عامر الراهب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

13436ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن حماد بن زيد, عن أيوب, عن سعيد بن جبير: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا قال: هم بنو غنم بن عوف.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن سعيد بن جبير: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا قال: هم حيّ يقال لهم بنو غنم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أيوب عن سعيد بن جبير, في قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا قال: هم حيّ يقال لهم بنو غنم.

13437ـ قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, عن عروة, عن عائشة قالت: وَإرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أبو عامر الراهب انطلق إلى الشأم, فقال الذين بنوا مسجد الضرار: إنما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر.

13438ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا... الآية, عمد ناس من أهل النفاق, فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلي فيه. ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك. وأما قوله: وَإرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ فإنه كان رجلاً يقال له أبو عامر, فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين فقتلوه بإسلامه, قال: إذا جاء صلى فيه, فأنزل الله: لا تَقُمْ فِيهِ أبَدا لَمَسْجِدٌ أسّسَ على التّقْوَى... الآية.

13439ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارّون به نبيّ الله

والمسلمين. وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ كانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه. وكانوا يقولون: إذا قدم ظهر على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

13440ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا وتَفرِيقا بينَ المُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ قال مسجد قباء, كانوا يصلون فيه كلهم, وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وضيفي وأخيه, وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين. فخرج أبو عامر هاربا هو وابن بالين من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم, حتى لحقوا بصاحب الروم. فأما علقمة وابن بالين فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما, وأما أبو عامر فتنصر وأقام. قال: وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر, قالوا: حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرّقون بين جماعتهم لأنهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء. وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادي ويحول بيننا وبين القوم فنصلي في مسجدنا فإذا ذهب السيل صلينا معهم قال: وبنوه على النفاق. قال: وأنهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وألقى الناس عليه النتن والقمامة. فأنزل الله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجدا ضِرَارا وكُفْرا وَتَفْرِيقا بينَ المُؤْمِنِينَ لئلا يصلي في مسجد قباء جميع المؤمنين, وَإِرْصَادا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ أبي عامر, وَلَيَحْلِفُنّ إنْ أرَدْنَا إلاّ الحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إنّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

13441ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن أبي جعفر, عن ليث: أن شقيقا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر, فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلوا بعد فقال: لا أُحِبّ أنْ أُصَلّيَ فِيهِ فإنّه بُنيَ على ضِرَار, وكلّ مسجد بني ضرارا أو رياء أو سمعة فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بُني على ضرار.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لّمَسْجِدٌ أُسّسَ عَلَى التّقْوَىَ مِنْ أوّلِ يَوْمٍ أَحَقّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبّونَ أَن يَتَطَهّرُواْ وَاللّهُ يُحِبّ الْمُطّهّرِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله. ثم أقسم جلّ ثناؤه فقال: لَمَسْجِدٌ أُسّسَ على التّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ أَحَقّ أنْ تَقُومَ أنت فيه. يعني بقوله: أُسّسَ على التّقْوَى ابتدىء أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أوّل يوم ابتدىء في بنائه أَحَقّ أنْ تَقُومَ فِيهِ يقول: أولى أن تقوم فيه مصليا. وقيل: معنى قوله: مِنْ أوّلِ يَوْمٍ مبدأ أوّل يوم كما تقول العرب: لم أره من يوم كذا, بمعنى مبدؤه, ومن أوّل يوم يراد به من أول الأيام, كقول القائل: لقيت كلّ رجل, بمعنى كلّ الرجال.

واختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه: لَمَسْجِدٌ أُسّسَ على التّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ فقال بعضهم: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره اليوم. ذكر من قال ذلك:

13442ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن إبراهيم بن طهمان, عن عثمان بن عبيد الله, قال: أرسلني محمد بن أبي هريرة إلى ابن عمر أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى, أيّ مسجد هو؟ مسجد المدينة, أو مسجد قباء؟ قال: لا, مسجد المدينة.

13443ـ قال: حدثنا القاسم بن عمرو العنقزي, عن الدراوردي, عن عثمان بن عبيد الله, عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد, قالوا: المسجد الذي أسس على التقوى: مسجد الرسول.

13444ـ قال: حدثنا أبي, عن ربيعة بن عثمان, عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع, قال: سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: هو مسجد الرسول.

13445ـ قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابي الزناد, عن خارجة بن زيد, عن زيد, قال: هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: حدثنا أبي, عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان, عن أبيه, عن خارجة بن زيد, عن زيد, قال: هو مسجد الرسول.

13446ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, حدثنا حميد الخراط المدني, قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن, قال: مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد, فقلت: كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال لي: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت بعض نسائه, فقلت: يا رسول الله, أيّ مسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفّا من حصباء فضرب به الأرض, ثم قال: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» هكذا سمعت أباك يذكره.

13447ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أسامة بن زيد, عن عبد الرحمن بن أبي سعيد, عن أبيه, قال: المسجد الذي أسس على التقوى: هو مسجد النبيّ الأعظم.

13448ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن سعيد بن المسيب, قال: إن المسجد الذي أسس على التقوى من أوّل يوم, هو مسجد المدينة الأكبر.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, قال: قال سعيد بن المسيب, فذكر مثله, إلا أنه قال: الأعظم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, عن ابن حرملة, عن سعيد بن المسيب, قال: هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن أبي الزناد, عن خارجة بن زيد قال: أحسبه عن أبيه قال: مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى.

وقال آخرون: بل عني بذلك مسجد قباء,. ذكر من قال ذلك:

13449ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: لَمَسْجِدٌ أُسّسَ على التّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ يعني مسجد قباء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, نحوه.

13450ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية: لَمَسْجِدٌ أُسّسَ على التّقْوَى مِنْ أوّلِ يَوْمٍ هو مسجد قباء.

13451ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن صالح بن حَيّان, عن ابن بريدة, قال: مسجد قباء الذي أُسّس على التقوى, بناه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.
13452ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: المسجد الذي أسس على التقوى: مسجد قباء.
13453ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, عن عروة بن الزبير: الذين بني فيهم المسجد الذي أسس على التقوى, بنو عمرو بن عوف.
قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قالّ: هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله.
ذكر من قال ذلك:
13454ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قال أبو كريب: حدثنا وكيع, وقال ابن وكيع: حدثنا أبي, عن ربيعة بن عثمان التيمي, عن عمران بن أبي أنس رجل من الأنصار, عن سهل بن سعد, قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس في التقوى, فقال أحدهما: هو مسجد النبيّ وقال الآخر: هو مسجد قباء. فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسألاه, فقال: «هُوَ مَسْجِدِي». هذا اللفظ لحديث أبي كريب, وحديث سفيان نحوه.
13455ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو نعيم, عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس, عن سهل بن سعد, عن أبيّ بن كعب: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس علي التقوى, فقال: «مَسْجِدِي هَذَا».
13456ـ حدثني يونس, قال: أخبرني ابن وهب, قال: ثني الليث, عن عمران بن أبي أنس, عن ابن أبي سعيد, عن أبيه, قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أوّل يوم, فقال رجل: هو مسجد قباء, وقال آخر: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال رسول الله: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا».
حدثني بحر بن نصر الخولاني, قال: قرىء على شعيب بن الليث, عن أبيه, عن عمران بن أبي أنس, عن سعيد بن أبي سعيد الخدري, قال: تمارى رجلان, فذكر مثله.
13457ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني سجل بن محمد بن أبي يحيى, قال: سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدّث, عن أبيه, عن أبي سعيد الخدري, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المَسْجِدُ الّذِي أسّسَ على التّقْوَى مَسْجِدِي هَذَا, وفِي كُلّ خَيْرٌ».
حدثني المثنى, قال: ثني الحماني, قال: حدثنا عبد العزيز, عن أنيس, عن أبيه, عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.
13458ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا صفوان بن عيسى, قال: أخبرنا أنيس بن أبي يحيى, عن أبيه, عن أبي سعيد: أن رجلاً من بني خدرة ورجلاً من بني عمرو بن عوف امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى, فقال الخدري: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقال العوفي: هو مسجد قباء, فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه, فقال: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا, وفي كُلّ خَيْرٌ».

القول في تأويل قوله تعالى: فِيهِ رِجَالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ.

يقول تعالى ذكره: في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أوّل يوم رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط والله يحبّ المتطهرين بالماء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13459ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا همام بن يحيى, عن قتادة, عن شهر بن حوشب قال: لما نزل: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الطّهُورُ الّذِي أثْنَى اللّهُ عَلَيْكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله نغسل أثر الغائط.

13460ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء: «إنّ اللّهَ قَدْ أحْسَنَ عَلَيْكُمْ الثّنَاءَ في الطّهُورِ, فَمَا تَصْنَعُونَ؟» قالوا: إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: لما نزلت: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ ما هَذَا الطّهُورُ الّذِي أثْنَى اللّهُ عَلَيْكُمْ فِيهِ؟» قالوا: إنا نستطيب بالماء إذ جئنا من الغائط.

13461ـ حدثني جابر بن الكردي, قال: حدثنا محمدبن سابق, قال: حدثنا مالك بن مِغْول, عن سيار أبي الحَكَم, عن شهر بن حوشب, عن محمد بن عبد الله بن سلام, قال: قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «ألا أخْبِرُوني, فإنّ اللّهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ بالطّهُورِ خَيْرا» فقالوا: يا رسول الله إنا نجد عندنا مكتوبا في التوراة الاستنجاء بالماء.

حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن رافع, عن مالك بن مغول, قال: سمعت سيارا أبا الحكم غير مرّة, يحدّث عن شهر بن حوشب, عن محمد بن عبد الله بن سلام, قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال: «إنّ اللّهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ بالطّهُورِ خَيْرا», يعني قوله: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا قالوا: إنا نجده مكتوبا عندنا في التوراة: الاستنجاء بالماء.

حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا يحيى بن رافع, قال: حدثنا مالك بن مغول, عن سيار, عن شهر بن حوشب, عن محمد بن عبد الله بن سلام, قال: يحيى: ولا أعلمه إلا عن أبيه, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: «إنّ اللّهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ في الطّهُورِ خَيْرا» قالوا: إنا نجده مكتوبا علينا في التوراة: الاستنجاء بالماء. وفيه نزلت: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا.

13462ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا إسماعيل بن صبيح اليشكري, قال: حدثنا أبو أويس المدني, عن شرحبيل بن سعد, عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء: «إنّي أسْمَع اللّهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ الثّنَاءَ في الطّهُورِ, فَمَا هَذَا الطّهُورِ؟» قالوا: يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط, فغسلنا كما غسلوا.

13463ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا محمد بن سعيد, قال: حدثنا إبراهيم بن محمد, عن شرحبيل بن سعد قال: سمعت خزيمة بن ثابت يقول: نزلت هذه الآية: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّه يحبّ المُطّهّرَينَ قال: كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط.
13464ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي ليلى, عن عامر, قال: كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء, فنزلت: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّه يُحِبّ المُطّهّرَينَ.
13465ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا شبابة بن سوار, عن شعبة, عن مسلم القُرّي, قال: قلت لابن عباس: أصب على رأسي؟ وهو محرم قال: ألم تسمع الله يقول: إنّ اللّهَ يُحِبّ التّوّابِينَ وَيُحِبّ المُتَطَهّرِينَ.
13466ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن داود بن أبي ليلى, عن الشعبي, قال: لما نزلت: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء «ما هَذَا الّذِي أثْنَى اللّهُ عَلَيْكُمْ؟» قالوا: ما منا من أحد إلا وهو يستنجي من الخلاء.
13467ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن عبد الحميد المدني, عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة: «ما هَذَا الّذِي أثْنَى اللّه عَلَيْكُمْ فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا واللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ؟» قال: نوشك أن نغسل الأدبار بالماء.
13468ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو جعفر, عن حصين, عن موسى بن أبي كثير, قال: بدء حديث هذه الآية في رجال من الأنصار من أهل قباء: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ فسألهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, قالوا: نستنجي بالماء.
13469ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أصبغ بن الفرج, قال أخبرني ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن أبي الزناد, قال: أخبرني عروة بن الزبير, عن عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف, ومعن بن عديّ من بني العجلان, وأبي الدحداح, فأما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من الذين قال الله فيهم: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الرّجالُ مِنْهُمْ عُوَيْمَ بْنُ ساعِدَةَ» لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلاً غير عويم.
13470ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن هشام بن حسان, قال: حدثنا الحسن, قال: لما نزلت هذه الآية: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هَذَا الّذِي ذَكَرَكُمُ اللّهُ بِهِ في أمْرِ الطّهُورِ, فأثْنَى بِهِ عَلَيْكُمْ؟» قالوا: نغسل أثر الغائط والبول.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن مالك بن مغول, قال: سمعت سيارا أبا الحكم يحدّث عن شهر بن حوشب, عن محمد بن عبد الله بن سلام, قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة, أو قال: قدم علينا رسول الله فقال: «إنّ اللّهَ قَدْ أثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطّهُورِ خَيْرا أفَلا تُخْبِرُونِي؟» قالوا: يا رسول الله, إنا نجد علينا مكتوبا في

التوراة: الاستنجاء بالماء. قال مالك: يعني قوله: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا.
13471ـ حدثني أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية, قال: لما نزلت هذه الآية: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما طُهُورُكُمْ هَذَا الّذِي ذَكَرَ اللّهُ؟» قالوا: يا رسول الله كنا نستنجي بالماء في الجاهلية, فلما جاء الإسلام لم ندعه قال: فَلا تَدَعُوهُ».
13472ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كان في مسجد قباء رجال من الأنصار يوضئون سفَلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجري, فيتوضئون. فأثنى الله بذلك عليهم, فقال: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا... الآية.
13473ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء, فنزلت فيهم: فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ.
وقيل: وَاللّهُ يُحِبّ المُطّهّرِينَ وإنما هو المتطهرين, ولكن أدغمت التاء في الطاء, فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج إحداهما من الأخرى.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى:
{أَفَمَنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ تَقْوَىَ مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مّنْ أَسّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.
اختلفت القرّاء في قراءة قوله: أفَمَنْ أسّسَ بُنْيَانَهُ فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة: «أفَمَنْ أسّسَ بُنْيَانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أمّنْ أسّسَ بُنْيَانُهُ» على وجه ما لم يسمّ فاعله في الحرفين كليهما. وقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق: أفَمَنْ أسّسَ بُنْيَانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أمّنْ أسّسَ بُنْيانَهُ على وصف من بناء الفاعل الذي أسس بنيانه. وهما قراءتان متفقتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى «من» إذا كان هو المؤسس أعجب إليّ.
فتأويل الكلام إذا: أي هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم في بنائه وأداء فرائضه ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير, أم الذين ابتدءوا بناء مسجدهم على شفا جرف هار, يعني بقوله: على شَفا جُرُفٍ على حرف جر, والجُرُف من الركيّ ما لم يبن له جُول. هَارٍ يعني متهوّر, وإنما هو هائر ولكنه قلب, فأخرت ياؤها, فقيل هارٍ كما قيل: هو شاك السلاح وشائك, وأصله من هار يهور فهو هائر وقيل: هو من هَارَ يَهَارُ: إذا انهدم, ومن جعله من هذه اللغة قال: هَرْتَ يا جُرُفُ ومن جعله من هار يهور قال: هُرْتُ يا جُرُف وإنما هذا مثل. يقول تعالى ذكره: أيّ هذين الفريقين خير, وأيّ هذين البناءين أثبت, أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بأن بناءه لله طاعة والله به راض, أم من ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه, فهو لا يدري متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فيهدمه, كما يأتي البناء على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ترى به التراب متناثرا لا تلبثه السيول أن تهدمه

وتنثره؟ يقول الله جلّ ثناؤه: فانْهَارَ بِهِ فِي جَهَنّمَ يعني فانتثر الجرف الهاري ببنائه في نار جهنم. كما:
13474ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: فانهار به قواعده في نار جهنم.
13475ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فانْهَارَ بِهِ يقول: فخرّ به.
13476ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: أفَمَنْ أسّسَ بُنْيَانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللّهِ,.. إلى قوله: فانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنّمَ قال: والله ما تناهى أن وقع في النار. ذُكر لنا أنه حفرت بقعة منه فرؤي منها الدخان.
13477ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أن بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبيّ صلى الله عليه وسلم في بنيانه, فأذن لهم ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد. قال: وانهار يوم الاثنين. قال: وكان قد استنظرهم ثلاثا: السبت والأحد والاثنين, فانهار به في نار جهنم, مسجد المنافقين انهار فلم يتناه دون أن وقع في النار. قال ابن جريج: ذكر لنا أن رجالاً حفروا فيه, فأبصروا الدخان يخرج منه.
13478ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار, عن عبد الله الداناج, عن طلق ابن حبيب, عن جابر, قوله: وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجِدا ضِرَارا قال: رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
حدثنا محمد بن مرزوق البصري, قال: حدثنا أبو سلمة, قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار, عن عبد الله الداناج, قال: ثني طلق العنزي, عن جابر بن عبد الله, قال: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار.
13479ـ حدثني سلام بن سالم الخزاعي, قال: حدثنا خلف بن ياسين الكوفي, قال: حججت مع أبي في ذلك الزمان يعني زمان بني أمية فمررنا بالمدينة, فرأيت مسجد القبلتين يعني مسجد الرسول وفيه قبلة بيت المقدس. فلما كان زمان أبي جعفر, قالوا: يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة, فهذا البناء الذي يرون جرى على يد عبد الصمد بن عليّ. ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن, وفيه حجر يخرج منه الدخان, وهو اليوم مزبلة.
قوله: وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ يقول: والله لا يوفق للرشاد في أفعاله من كان بانيا بناءه في غير حقه وموضعه, ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاّ أَن تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا رِيَبةً يقول: لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم, يعني شكّا ونفاقا فِي قلوبهم, يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين. إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ يعني إلا أن تتصدّع قلوبهم فيموتوا, والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم وما قصدوا في بنائهموه

وأرادوه وما إليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا, وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم, حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13480ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ يعني شكّا إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ يعني الموت.
13481ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قال: شكّا في قلوبهم, إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ إلى أن يموتوا.
13482ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً في قُلُوبِهِمْ إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ يقول: حتى يموتوا.
13483ـ حدثني مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا أبو قتيبة, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في قوله: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ قال: إلا أن يموتوا.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ قال: يموتوا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ قال: يموتوا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
13484ـ قال: حدثنا سويد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر, عن قتادة والحسن: لا يَزَالُ بُنْيانُهُمْ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قالا شكّا في قلوبهم.
13485ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق الرازي, قال: حدثنا أبو سنان, عن حبيب: لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قال: غيظا في قلوبهم.
قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ قال: يموتوا.
13486ـ قال: حدثنا إسحاق الرازي, عن أبي سنان, عن حبيب: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ: إلا أن يموتوا.
13487ـ قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن السديّ: رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قال: كفر. قلت: أكفر مجمّع ابن جارية؟ قال: لا, ولكنها حزازة.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن السدي: لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قال: حزازة في قلوبهم.
13488ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ لا يزال ريبةً في قلوبهم راضين بما صنعوا, كما حبب العجل في قلوب أصحاب موسى. وقرأ: وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قال: حبه. إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ قال: لا يزال ذلك في قلوبهم حتى يموتوا يعني المنافقين.
13489ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا قيس, عن السديّ, عن إبراهيم: رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ قال: شكّا. قال: قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن؟ قال: إنما هي حزازة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ فقرأ ذلك بعض قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة: «إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ» بضمّ التاء من «تقطع», على أنه لم يسمّ فاعله, وبمعنى: إلا أن يقطع الله قلوبهم. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة: إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ بفتح التاء من تقطّع على أن الفعل للقلوب. بمعنى: إلا أن تنقطع قلوبهم, ثم حذفت إحدى التاءين. وذكر أن الحسن كان يقرأ: «إلاّ أنْ تَقَطّعَ قُلُوبُهُمْ» بمعنى: حتى تتقطع قلوبهم. وذكر أنها في قراءة عبد الله: «وَلَوْ قُطّعَتْ قُلُوبهُمْ» وعلى الاعتبار بذلك قرأ من ذلك: «إلاّ أنْ تُقَطّعَ» بضم التاء.

والقول عندي في ذلك أن الفتح في التاء والضم متقاربا المعنى, لأن القلوب لا تتقطع إذا تقطعت إلا بتقطيع الله إياها, ولا يقطعها الله إلا وهي متقطعة. وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في قراءته. وأما قراءة من قرأ ذلك: «إلى أن تُقْطّعَ», فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة, ولا أرى القراءة بخلاف ما في مصاحفهم جائزة.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقّا, يقول: وعدهم الجنة جلّ ثناؤه, وعدا عليه حقّا أن يوفي لهم به في كتبه المنزّلة التوراة والإنجيل والقرآن, إذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه أعداءه فَقَتلوا وقُتلوا وَمَنْ أوْفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللّهِ يقول جلّ ثناؤه: ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله.

فاسْتَبْشِرُوا يقول ذلك للمؤمنين: فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا بِبَيْعِكُمْ أنفسكم وأموالكم بالذي بعتموها من ربكم, فإن ذلك هو الفوز العظيم. كما:

13490ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص بن حميد, عن شمر بن عطية, قال: ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها في قول الله: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ... إلى قوله: وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ثم حَلاّهم فقال: التّائِبُونَ العابِدُونَ... إلى: وَبَشّرِ المُوءْمِنِينَ.

13491ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ يعني بالجنة.

13492ـ قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن محمد بن يسار, عن قتادة أنه تلا هذه الآية: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنّ لَهُمُ الجَنّةَ قال: ثَامَنَهُم الله فأغلى لهم الثمن.

13493ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن أنه تلا هذه الآية: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ قال: بايعهم فأغلى لهم الثمن.

13494ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب القرظي وغيره, قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ونفسك ما شئت قال: «أشْتَرِطُ لرَبي أنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا, وأشْتَرِطُ لِنَفْسِي أنْ تَمْنَعُونِي ممّا تَمْنَعونَ مِنْهُ أنْفُسَكُمْ وأمْوَالَكُمْ» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: «الجَنّة» قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ... الآية.

13495ـ قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبيد بن طفيل العبسي, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم, وسأله رجل عن قوله: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ... الآية, قال الرجل: ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل؟ قال: ويلك أين الشرط: التّائِبُونَ العابِدُونَ؟.

الآية : 112

القول في تأويل قوله تعالى: {التّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ولكنه رفع, إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها, والعرب تفعل ذلك, وقد تقدم بياننا ذلك في قوله: صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ومعنى التائبون: الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه. كما:

13496ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلم, عن ثعلبة بن سهيل, قال: قال الحسن في قول الله: التّائِبُونَ قال: تابوا إلى الله من الذنوب كلها,

13497ـ حدثنا سوار بن عبد الله العنبري, قال: ثني أبي, عن أبي الأشهب, عن الحسن, أنه قرأ: التّائِبُونَ العَابِدُونَ قال: تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو سلمة, عن أبي الأشهب, قال: قرأ الحسن: التّائِبُونَ العَابِدُونَ قال: تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق.

13498ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا منصور, بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء عن الحسن, قال: التائبون من الشرك.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا جرير بن حازم, قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: التّائِبُونَ العَابِدُونَ قال الحسن: تابوا والله من الشرك, وبرئوا من النفاق.

13499ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: التّائِبُونَ قال: تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام.

13500ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج: التّائِبُونَ قال: الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها.

وأما قوله: العَابِدُونَ فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له, فجدّوا في خدمته. كما:

13501ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: العَابِدُونَ: قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم.

13502ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن ثعلبة بن سهيل, قال: قال الحسن في قول الله العَابِدُونَ قال: عبدوا الله على أحايينهم كلها في السرّاء والضرّاء.
13503ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: العَابِدُونَ قال: العابدون لربهم.
وأما قوله: الحَامِدُونَ فإنهم الذين يحمدون الله على كلّ ما امتحنهم به من خير وشرّ. كما:
13504ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: الحَامِدُونَ قوم حمدوا الله على كل حال.
13505ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن ثعلبة, قال: قال الحسن: الحَامِدُونَ: الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها في السرّاء والضرّاء.
13506ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: الحامِدُونَ قال: الحامدون على الإسلام.
وأما قوله: السّائِحُونَ فإنهم الصائمون. كما:
13507ـ حدثني محمد بن عيسى الدامغاني وابن وكيع, قالا: حدثنا سفيان, عن عمرو, عن عبيد بن عمير وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحرث, عن عمرو, عن عبيد بن عمير, قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين, فقال: «هُمُ الصّائمُونَ».
13508ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا حكيم بن حزام, قال: حدثنا سليمان, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السّائِحُونَ هُمُ الصّائمُونَ».
13509ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة قال: السّائِحُونَ: الصائمون.
13510ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن زر, عن عبد الله, قال: السّائِحُونَ الصائمون.
قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, قال: ثني عاصم, عن زرّ, عن عبد الله, بمثله.
13511ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله, قال: أخبرنا شيبان, عن أبي إسحاق, عن أبي عبد الرحمن, قال: السياحة: الصيام.
13512ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أشعث, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: السّائِحُونَ: الصائمون.
حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, وإسرائيل عن أشعث, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس قال: السّائِحُونَ: الصائمون.
13513ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا إسرائيل, عن أشعث, عن سعيد بن جبير, قال: السّائِحُونَ: الصائمون.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أشعث بن أبي الشعثاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن زرّ, عن عبد الله, مثله.

13514ـ قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن إسحاق, عن عبد الرحمن, قال: السّائِحُونَ: هم الصائمون.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: السّائِحُونَ قال: يعني بالسائحين الصائمين.
13515ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله, عن إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: السّائِحُونَ هم الصائمون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: السّائِحُونَ الصائمون.
13516ـ قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: كلّ ما ذكر الله في القرآن السياحة: هم الصائمون.
13517ـ قال: حدثنا أبي عن المسعودي, عن أبي سنان, عن ابن أبي الهذيل, عن أبي عمرو العبدي, قال: السّائِحُونَ: الذي يديمون الصيام من المؤمنين.
13518ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل, قال: قال الحسن: السّائِحُونَ الصائمون.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنى منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن, قال: السّائِحُونَ: الصائمون, شهر رمضان.
13519ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك, قال: السّائِحُونَ الصائمون.
13520ـ قال: حدثنا أبو أسامة, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كلّ شيء في القرآن السّائِحُونَ فإنه الصائمون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك: السّائِحُونَ الصائمون.
حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال سمعت الضحاك يقول في قوله: السّائِحُونَ يعني: الصائمين.
13521ـ حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة, عن عبد الملك, عن عطاء, قال: السّائِحُونَ الصائمون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن عبد الملك, عن عطاء, مثله.
13522ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, قال: حدثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول: كانت السياحة في بني إسرائيل, وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله, فساح ولد بغيّ أربعين سنة فلم ير شيئا, فقال: أي ربّ أرأيت إن أساء أبواي وأحسنت أنا؟ قال: فأري ما أُري السائحون قبله. قال ابن عيينة: إذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح.
13523ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله.
13524ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إبراهيم بن زيد, عن الوليد بن عبد الله, عن عائشة, قالت: سياحة هذه الأمة: الصيام.

وقوله: الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ يعني: المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها. كما:

13525ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ قال: الصلاة المفروضة.

وأما قوله: الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ والنّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ فإنه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم, واتباع الرشد والهدى والعمل, وينهونهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس عن كلّ فعل وقول نهى الله عباده عنه.

وقد روي عن الحسن في ذلك ما:

13526ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ لا إله إلا الله. والنّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ عن الشرك.

13527ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن ثعلبة بن سهيل, قال الحسن, في قوله: الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ قال: أما إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها. والنّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ قال: أما إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه.

13528ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: كلّ ما ذكر في القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فالأمر بالمعروف: دعاء من الشرك إلى الإسلام والنهي عن المنكر: نهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كلّ ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم, والنهي عن المنكر هو كلّ ما نهى الله عنه عباده أو رسوله. وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنها عنى بها خصوص دون عموم ولا خبر عن الرسول ولا في فطرة عقل, فالعموم بها أولى لما قد بينا في غير موضع من كتبنا.

وأما قوله: والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ فإنه يعني: المؤدّونَ فَرَائِضَ الله, المنتهون إلى أمره ونهيه, الذين لا يضيعون شيئا ألزمهم العمل به ولا يركبون شيئا نهاهم عن ارتكابه. كالذي:

13529ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ يعني: القائمين على طاعة الله, وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد إذا وفوا الله بشرطه وفى لهم شرطهم.

13530ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ قال: القائمون على طاعة الله.

13531ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن ثعلبة, بن سهيل, قال: الحسن, في قوله: والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ قال: القائمون على أمر الله.

13532ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ قال: لفرائض الله.

وأما قوله: وَبَشّرِ المُؤْمِنِينَ فإنه يعني: وبشر المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة. كما:

13533ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة بن خليفة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن: إنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ المُوءْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ... حتى ختم الآية, قال: الذين وفوا ببيعتهم التّائِبُونَ العَابِدُونَ الحامدُونَ, حتى ختم الآية, فقال: هذا عملهم وسيرهم في الرخاء, ثم ألقوا العدّو فصدّقوا ما عاهدوا الله عليه.

وقال بعضهم: معنى ذلك: وبشر من فعل هذه الأفعال, يعني قوله: التّائِبُونَ العَابِدُونَ... إلى آخر الآية, وإن لم يغزوا. ذكر من قال ذلك:

13534ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني منصور بن هارون, عن أبي إسحاق الفزاري, عن أبي رجاء, عن الحسن: وَبَشّرِ المُؤمِنِينَ قال: الذين لم يغزوا.

الآية : 113،114

القول في تأويل قوله تعالى:

{مَا كَانَ لِلنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوَاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوَاْ أُوْلِي قُرْبَىَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمْ أَنّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلاّ عَن مّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أَنّهُ عَدُوّ للّهِ تَبَرّأَ مِنْهُ إِنّ إِبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين إمنوا به أن يستغفروا, يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين, ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربى, ذوي قرابة لهم. مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمْ أنّهُمْ أصحَابُ الجَحِيمِ يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان تبين لهم أنهم من أهل النار لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك, فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله.

فإن قالوا: فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك, فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه فَلمّا تَبَيّنَ لَهُ وعلم أنه لله عدوّ خلاه وتركه وترك الاستغفار له, وآثر الله وأمره عليه, فتبرأ منه حين تبين له أمره.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه, فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته, فنهاه الله عن ذلك. ذكر من قال ذلك:

13535ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية, فقال: «يا عَمّ قُلْ لا إلَهِ إلاّ اللّهُ كَلِمَةً أحاجّ لَكَ بِها عِنْدَ اللّهِ» فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لأسْتَغْفِرَنّ لَكَ مَا لَمْ أنْهَ عَنْكَ» فنزلت ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ, ونزلت: إنّكَ لا تَهْدي مَنْ أحْبَبْتَ.

13536ـ حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: حدثنا عمي عبد الله بن وهب, قال: ثني يونس, عن الزهري, قال: أخبرني سعيد بن المسيب, عن أبيه, قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عَمّ قُلْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ كَلِمَةً أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللّهِ» قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب

عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب, وأبى أن يقول: لا إله إلا الله, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَاللّهِ لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنْزَلَ اللّهُ: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وأنزل الله في أبي طالب, فقال لرسول الله: إنّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ... الآية.

13537ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ قال: يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافرا, فأنزل الله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ... الآية.

13538ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن عمرو بن دينار: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَغْفَرَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ, فَلا أزَالُ أسْتَغْفِرُ لأبي طالِبٍ حتى يَنْهانِي عَنْهُ رَبّي» فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فأنزل الله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... إلى قوله: تَبَرّأ مِنْهُ.

13539ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن سفيان بن عيينة, عن الزهري, عن سعيد بن المسيب قال: لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم, وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيّ عَمّ إنّكَ أعْظَمُ النّاسِ عَليّ حَقّا وأحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدا, ولأنْتَ أعْظَمُ عَليّ حَقّا مِنْ وَالِدِي, فَقُلْ كَلِمَةً تَجِيبُ لي بها الشّفاعَةُ يَوْمَ القِيامَةِ, قُلْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى, عن محمد بن ثور.

وقال آخرون: بل نزلت في سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك. ذكر من قال ذلك:

13540ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيل, عن عطية قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس, رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها, حتى نزلت: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولي قُرْبَى... إلى قوله: تَبَرّأ مِنْهُ.

13541ـ قال: ثناأبو أحمد, قال: حدثنا قيس, عن علقمة بن مرثد, عن سليمان بن بريدة, عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رسما قال: وأكثر ظني أنه قال قبرا فجلس إليه, فجعل يخاطب, ثم قام مستعبرا, فقلت: يا رسول الله, إنا رأينا ما صنعت قال: «إنّي اسْتَأذَنْتُ ربّي فِي زِيارَةِ قَبْرِ أمّي فَأذِنَ لي, وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفارِ لَهَا فَلَمْ يَأذَنْ لي» فما رُؤي باكيا أكثر من يومئذ.

13542ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا... إلى: أنهُمْ أصْحَابُ الجَحِيمِ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه, فنهاه عن ذلك, فقال: «وإنّ إبْرَاهِيمُ خَلِيلَ اللّهِ قَدِ اسْتَغْفَرَ لأبِيهِ» فأنزل الله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ... إلى: لأوّاهٌ حَلِيمٌ.

وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين, فنهوا عن ذلك. ذكر من قال ذلك:
13543ـ حدثني المثنى, قال: ثني عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ... الآية, فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية, فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم, ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا. ثم أنزل الله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ... الآية.
13544ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ... الآية, ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا نبيّ الله, إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفكّ العاني ويوفي بالذمم, أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلى وَاللّهِ لأسْتَغْفِرنّ كمَا اسْتَغْفَرَ إبْراهِيمُ لأبِيهِ» قال: فأنزل الله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ... حتى بلغ: الجَحِيمِ ثم عذر الله إبراهيم فقال: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ للّهِ تَبَرّأ مِنْهُ. قال: وذُكر لنا أن نبيّ الله قال: «أوحي إليّ كَلِمَاتٍ, فَدَخَلْنَ في أُذُني وَوَقَرْنَ في قَلْبي, أُمِرْتُ أنْ لا أسْتَغْفِرَ لمن مَاتَ مُشْرِكا, ومَنْ أعْطَى فَضْلُ ماله فهو خَيْرٌ له, ومن أمْسَكَ فهو شَرّ له, ولا يَلُومُ الله على كَفَافٍ».
واختلف أهل العربية في معنى قوله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ما كان لهم الاستغفار, وكذلك معنى قوله: وَمَا كان لِنَفْس أن تُؤمِن وما كان لنفس الإيمان إلاّ بإذْنِ اللّهِ. وقال بعض نحويي الكوفة: معناه: ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم. قال: وكذلك إذا جاءت «أن» مع «كان», فكلها بتأويل «ينبغي» ما كان لنبيّ أنْ يَغُلّ ما كان ينبغي له ليس هذا من أخلاقه, قال: فلذلك إذا دخلت «أن» تدل على الاستقبال, لأن «ينبغي» تطلب الاستقبال.
وأما قوله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فإن أهل العلم اختلفوا في السبب الذي أنزل فيه, فقال بعضهم: أنزل من أجل أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظَنّا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن, قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن إبراهيم, قال: سَلامٌ عَلَيْكَ سأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبّي أنه كان بي حَفِيّا وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره, وسنذكره عمن لم نذكره.
13545ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الخليل, عن عليّ قال: سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان, فقلت: أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم, فذكرت ذلك له, فأنزل الله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ... إلى تَبَرّأ مِنْهُ.
13546ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الخليل, عن عليّ: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان, حتى نزلت: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلى قوله: تَبَرّأ مِنْهُ.

وقيل: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأَبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ, ومعناه: إلا من بعد موعدة, كما يقال: ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا, بمعنى: من بعد ذلك السبب أو من أجله, فكذلك قوله: إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ: من أجل موعدة وبعدها.

وقد تأول قوم قول الله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى... الآية, أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم, لقوله: مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمْ أنّهُمْ أصحَابُ الجَحِيمِ وقالوا: ذلك لا يتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره, وأما هو حيّ فلا سبيل إلى علم ذلك, فللمؤمنين أن يستغفروا لهم. ذكر من قال ذلك:

13547ـ حدثنا سليمان بن عمر الرقي, حدثنا عبد الله بن المبارك, عن سفيان الثوري, عن الشيباني, عن سعيد بن جبير قال: مات رجل يهودي وله ابن مسلم, فلم يخرج معه, فذكر ذلك لابن عباس, فقال: كان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ويدعو له بالصلاح ما دام حيّا, فإذا مات وكله إلى شأنه ثم قال: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأَبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرأ مِنْهُ لم يدع.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا فضيل, عن ضرار بن مرّة, عن سعيد بن جبير, قال: مات رجل نصراني, فوكله ابنه إلى أهل دينه, فأتيت ابن عباس, فذكرت ذلك له فقال: ما كان عليه لو مشى معه وأجَنّه واستغفر له ثم تلا: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأَبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ... الآية.

وتأوّل آخرون الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة. ذكر من قال ذلك:

13548ـ حدثني المثنى, قال: ثني إسحاق, قال: حدثنا كثير بن هشام, عن جعفر بن برقان, قال: حدثنا حبيب بن أبي مرزوق, عن عطاء بن أبي رباح, قال: ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا, لأني لم أسمع الله يحجب الصلاة إلا عن المشركين, يقول الله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ.

وتأوّله آخرون بمعنى الاستغفار الذي هو دعاء. ذكر من قال ذلك:

13549ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عصمة بن راشد, عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمه قلت: ولأبيه؟ قال: لا إن أبي مات وهو مشرك.

قال أبو جعفر: وقد دللنا على أن معنى الاستغفار: مسألة العبد ربه غفر الذنوب وإذ كان ذلك كذلك, وكانت مسألة العبد ربه ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة, لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا, لأن الله عمّ بالنهي عن الاستغفار للمشرك بعدما تبين له أنه من أصحاب الجحيم, ولم يخصص من ذلك حالاً أباح فيها الاستغفار له.

وأما قوله: مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمْ أنّهُمْ أصحَابُ الجَحِيمِ فإن معناه: ما قد بينت من أنه من بعد ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار. وقيل: أصْحَابُ الجَحِيمِ لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها, كما يقال لسكان الدار: هؤلاء أصحاب هذه الدار, بمعنى سكانها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13550ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق (, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ أنّهُمْ أصحابُ الجَحِيمِ قال: تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات أن التوبة قد انقطعت عنه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: تبين له حين مات, وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه, يعني في قوله: مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمْ أنّهُمْ أصحَاب الجَحِيمِ.

13551ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعتُ أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك في قوله: ما كَانَ للنّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ... الآية, يقول: إذا ماتوا مشركين, يقول الله: وَمَنْ يُشْرِكُ باللّهِ فَقَدْ حَرّمَ الله عَلَيْهِ الجَنّةَ... الآية.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَلَمّا تَبَيّنَ لَه أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأَ مِنْهُ قال بعضم: معناه: فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه وترك الاستغفار له. ذكر من قال ذلك:

13552ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات, فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حبيب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات, فلما مات تبين له أنه عدوّ لله.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات, فلما مات لم يستغفر له.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَما كانَ اسْتِغْفارُ إبْرَاهيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَه أنّهُ عَدُوّ لله تَبَرّأ مِنْهُ يعني استغفر له ما كان حيّا, فلما مات أمسك عن الاستغفار له.

13553ـ حدثني مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة, قالا: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في قوله: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لله تَبَرأ مِنْهُ قال: لما مات.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

13554ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ قال: موته وهو كافر.

حدثنا ابن وكيع, قال: ثني أبي, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, مثله.

13555ـ قال: حدثنا البراء بن عتبة, عن أبيه, عن الحكم: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأ مِنْهُ قال: حين مات ولم يؤمن.

13556ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن عمرو بن دينار: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأ مِنْهُ: موته وهو كافر.

13557ـ قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم عن جويبر, عن الضحاك في قوله: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأ مِنْهُ قال: لما مات.

13558ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأ مِنْهُ لما مات على شركه تبرأ منه.

13559ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَما كانَ اسْتِغْفارُ

إبْرَاهيمَ لأبِيهِ كانَ إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيّا فلما مات على شركه تبرأ منه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأ مِنْهُ قال: موته وهو كافر.

حدثنا محمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات, فلما مات تبين له أنه عدوّ لله فلم يستغفر له.

13560ـ قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا أبو إسرائيل, عن عليّ بن بذيمة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدُوّ لِلّهِ قال: فلما مات.

وقال آخرون: معناه تبين له في الآخرة وذلك أن أباه يتعلق به إذا أراد أن يجوز الصراط فيمرّ به عليه, حتى إذا كان يجاوزه حانت من إبراهيم التفاتة فإذا هو بأبيه في صورة قرد أو ضبع, فخَلّى عنه وتبرأ منه حينئذ. ذكر من قال ذلك:

13561ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا حفص بن غياث, قال: حدثنا عبد الله بن سليمان, قال: سمعت سعيد ابن جبير يقول: إن إبراهيم يقول يوم القيامة: ربّ والدي ربّ والدي فإذا كان الثالثة أخذ بيده, فيلتفت إليه وهو ضبعان فيتبرأ منه.

13562ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن عبيدة بن عمير, قال: إنكم مجموعون يوم القيامة في صعيد واحد يسمعكم الداعي وينفذكم البصر, قال: فتزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه. قال: فحسبته يقول: نفسي نفسي قال: ويضرب الصراط على جسر جهنم كحدّ السيف, وحضر من له وفي جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان. قال: فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير, وكأجاويد الركاب, وكأجاويد الرجال, والملائكة يقولون: ربّ سلّم سلّم فناج سالم, ومخدوش ناج, ومكدوس في النار. يقول إبراهيم لأبيه: إني آمرك في الدنيا فتعصيني ولست تاركك اليوم, فخذ بحقويّ فيأخذ بضبعيه, فيمسخ ضبعا, فإذا رآه قد مسخ تبرأ منه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول الله, وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوُ تبرأ منه, وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوّ وهو به مشرك, وهو حال موته على شركه.

القول في تأويل قوله تعالى: إنّ إبْرَاهِيمَ لأَوّاهٌ حَلِيمٌ.

اختلف أهل التأويل في «الأوّاه», فقال بعضهم: هو الدّعّاء. ذكر من قال ذلك:

13563ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله, قال: الأوّاه: الدعّاء.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا: حدثنا أبو بكر, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله, قال: الأوّاه: الدّعّاء.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني جرير بن حازم, عن عاصم بن بهدلة, عن زرّ بن حبيش, قال: سألت عبد الله عن الأوّاه, فقال: هو الدعّاء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن ابن أبي عروبة, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله مثله.
قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن عبد الكريم, عن أبي عبيدة, عن عبد الله, قال: الأوّاه: الدعّاء.
قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله, مثله.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان وإسرائيل, عن عاصم, عن زرّ, عن عبد الله مثله.
13564ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن عليه, قال: حدثنا داود بن أبي هند, قال: نبئت عن عبيد بن عمير, قال: الأوّاه: الدعّاء.
حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا داود, عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي, عن أبيه, قال: الأوّاه: الدعاء.
وقال آخرون: بل هو الرحيم. ذكر من قال ذلك:
13565ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن مسلم البطين, عن أبي العبيدين, قال: سئل عبد الله عن الأوّاه, فقال: الرحيم.
حدثنا محمد بن المثنى, قال: ثني محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت يحيى بن الجزّار يحدّث عن أبي العبيدين رجل ضرير البصر, أنه سأل عبد الله عن الأوّاه فقال: الرحيم.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي وحدثنا خلاد بن أسلم قال: أخبرنا النضر بن شميل جميعا, عن المسعودي, عن سلمة بن كهيل, عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود, فقال: ما الأوّاه؟ قال: الرحيم.
حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الأعمش, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, عن أبي العبيدين, أنه جاء إلى عبد الله, وكان ضرير البصر, فقال: يا أبا عبد الرحمن, من نسأل إذا لم نسألك؟ فكأن ابن مسعود رق له, قال: أخبرني عن الأوّاه, قال: الرحيم.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن سلمة بن كهيل, عن مسلم, عن البطين, عن أبي العبيدين, قال: سألت عبد الله عن الأوّاه, فقال: هو الرحيم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, قال: جاء أبو العبيدين إلى عبد الله, فقال له ما حاجتك؟ قال: ما الأوّاه؟ قال: الرحيم.
قال: حدثنا ابن إدريس, عن الأعمش, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, أبي العبيدين رجل من بني سوأة, قال: جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن الأوّاه, فقال: له عبد الله: الرحيم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي وهانىء بن سعيد, عن حجاج, عن الحكم, عن يحيى بن الجزار, عن أبي العبيدين, عن عبد الله, قال: الأوّاه: الرحيم.
حدثني يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن علية, عن شعبة, عن الحكم, عن يحيى بن الجزارأن أبا العبيدين رجل من بين نمير قال: يعقوب كان ضرير البصر وقال ابن وكيع: كان مكفوف البصر سأل ابن مسعود فقال: ما الأوّاه؟ قال: الرحيم.

13566ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن زكريا, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, قال: الأوّاه: الرحيم.
قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, مثله.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة, مثله.
13567ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, قال: هو الرحيم.
13568ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كنا نحدّث أن الأواه: الرحيم.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إن إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ قال: رحيم.
حدثنا عبد الكريم الجزري, عن أبي عبيدة, عن ابن مسعود مثل ذلك.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الكريم, عن أبي عبيدة, عن عبد الله, قال: الأوّاه: الرحيم.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن مسلم البطين, عن أبي العبيدين, أنه سأل عبد الله عن الأوّاه, فقال الرحيم.
13569ـ قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن شرحبيل, قال: الأوّاه: الرحيم.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن, قال: الأوّاه: الرحيم بعباد الله.
قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو خيثمة زهير, قال: حدثنا أبو إسحاق الهمداني, عن أبي ميسرة, عن عمرو بن شرحبيل, قال: الأوّاه: الرحيم بلحن الحبشة.
وقال آخرون: بل هو الموقن. ذكر من قال ذلك:
13570ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: الأوّاه: الموقن.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن ابن مبارك, عن خالد, عن عكرمة, عن ابن عباس قال: الأوّاه: الموقن بلسان الحبشة.
قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن حسن, عن مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: الأوّاه: الموقن بلسان الحبشة.
13571ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: سمعت سفيان, يقول: الأوّاه: الموقن وقال بعضهم: الفقيه الموقن.
13572ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن جابر, عن عطاء, قال: الأوّاه: الموقن بلسان الحبشة.
13573ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن رجل, عن عكرمة, قال: هو الموقن بلسان الحبشة.
13574ـ قال: حدثنا ابن نمير, عن الثوري, عن مجالد, عن أبي هاشم, عن مجاهد, قال: الأوّاه: الموقن.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن مسلم, عن مجاهد, قال: الأوّاه: الموقن.

قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قابوس, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, قال: الأوّاه: الموقن.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «أوّاه»: موقن.
13575ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوّاه, قال: مُوءْتمن موقن.
حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ قال: الأوّاه: الموقن.
وقال آخرون: هي كلمة بالحبشية معناها: المؤمن. ذكر من قال ذلك:
13576ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لأوّاهٌ حَلِيمٌ قال: الأوّاه: هو المؤمن بالحبشية.
حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد اللهِ بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ يعني: المؤمن التوّاب.
حدثنا أحمد, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا حسن بن صالح, عن مسلم, عن مجاهد, عن عباس, قال: الأوّاه: المؤمن.
13577ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: الأوّاه: المؤمن بالحبشية.
وقال آخرون: هو المسبّح الكثير الذكر لله. ذكر من قال ذلك:
13578ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, قال: الأوّاه: المسبّح.
13579ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن حجاج, عن الحكم, عن الحسن بن مسلم بن يناق, أن رجلاً كان يكثر ذكر الله ويسبح, فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «إنّهُ أوّاهٌ».
13580ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن حيان, عن ابن لهيعة, عن الحرث بن يزيد, عن عليّ بن رباح عن عقبة بن عامر, قال: الأوّاه: الكثير الذكر لله.
وقال آخرون: هو الذي يكثر تلاوة القرآن. ذكر من قال ذلك:
13581ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا المنهال بن خليفة, عن حجاج بن أرطأة, عن عطاء عن ابن عباس: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دفن ميتا, فقال: «يَرْحَمُكَ اللّهُ إنْ كُنْتَ لأوّاها» يعني: تلاّءً للقرآن.
وقال آخرون: هو من التأوّه. ذكر من قال ذلك:
13582ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي يونس القشيري, عن قاصّ كان بمكة: أن رجلاً كان في الطواف, فجعل يقول: أوّه قال: فشكاه أبو ذرّ للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «دَعْهُ إنّهُ أوّاهٌ».
13583ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن أبي يونس الباهلي, قال: سمعت رجلاً بمكة كان أصله روميّا يحدّث عن أبي ذرّ, قال: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه: أوّه أوّه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنّهُ أوّاهٌ». زاد أبو كريب

في حديثه, قال فخرجت ذات ليلة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح.
13584ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن الحباب, عن جعفر بن سليمان, قال: حدثنا عمران, عن عبيد الله بن رباح, عن كعب, قال: الأوّاه: إذا ذكر النار قال: أوّه
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عبد العزيز, عن عبد الصمد القمى, عن أبي عمران الجوني, عن عبد الله بن رباح, عن كعب, قال: كان إذا ذكر النار قال: أوّاه.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن جعفر بن سليمان, قال: أخبرنا أبو عمران, قال سمعت عبد الله بن رباح الأنصاري يقول: سمعت كعبا يقول: إن إبْراهِيمَ لأوّاهُ قال: إذا ذكر النار قال: أوّه من النار.
وقال آخرون: معناه أنه فقيه. ذكر من قال ذلك:
13585ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ قال: فقيه:
وقال آخرون: هو المتضرّع الخاشع. ذكر من قال ذلك:
13586ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام, قال: حدثنا شهر بن حوشب, عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد, قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس, قال رجل: يا رسول الله ما الأوّاه؟ قال: «المتضرّع». قالَ: «إنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ».
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مغراء, عن عبد الحميد, عن شهر, عن عبد الله بن شداد, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأوّاه: الخاشِعُ المُتَضَرّعُ».
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زرّ أنه الدّعّاء.
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن الله ذكر ذلك ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه, فقال: وَما كانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أنّهُ عَدْوٌ للّهِ تَبَرأ مِنْهُ وترك الدعاء والاستغفار له, ثم قال: أن إبراهيم لدّعاء لربه شاكٍ له حليم عمن سبه وناله بالمكروه وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له, ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه إياه, وتهدده له بالشتم بعد ما ردّ عليه نصيحته في الله, وقوله: أرَاغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأرْجُمّنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّا فقال له صلوات الله عليه: سَلامٌ عَلَيْكَ سأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبي إنّهُ كانَ بِي حَفِيّا وأعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وأدْعُو رَبّي عَسَى أنْ لا أكُونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيّا فوفى لأبيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدوّ لله, فوصفه الله بأنه دعاء لربه حليم عمن سفه عليه.
وأصله من التأوّه وهو التضرّع والمسألة بالحزن والإشفاق, كما روى عبد الله بن شدّاد عن النبي صلى الله عليه وسلم, وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي:
13587ـ حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا ابن لهيعة, قال: ثني الحرث بن يزيد, عن عليّ بن رباح, عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أوّاه وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته.

ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض: لم تتأوّه؟ كما قال المثقب العبدي:
إذَا ما قُمْتُ أرْحَلُها بِلَيْلٍتَأوّهُ آهَةَ الرّجُلِ الحَزِينِ
ومنه قول الجعدي:
ضَرُوحٌ مَرُوحٌ تَتْبَعُ الوُرْقَ بَعْدَمايَعَرّسْنَ تَشْكُو آهَةً وَتَذَمّرَا
ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل, وإنما تقول فيه: تفعل يتفعل, مثل تأوّه يتأوّه, وأوّه يؤوّه, كما قال الراجز:
()(فأوّاهَ الرّاعِي وضَوْضَى أكْلُبُهْ)
وقالوا أيضا: أوّه منك ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده:
فِأوّهْ مِنَ الذّكْرَى إذَا ما ذَكَرْتُهاوَمِنْ بُعْدِ أرْضٍ بَيْنَنا وسمَاءِ
قال: وربما أنشدنا: «فأوّ من الذكرى» بغير هاء. ولو جاء فعل منه على الأصل لكان آه يؤه أوْها. ولأن معنى ذلك: توجع وتحزن وتضرّع, اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذي ذكرت, فقال ما قال: معناه الرحمة, إن ذلك كان من إبراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس.
وقال آخرون: إنما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له.
وقال آخرون: كان لصحة إيمانه بربه.
وقال آخرون: كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذي أنزل عليه.
وقال آخرون: كان ذلك منه عند ذكر به.
وكلّ ذلك عائد إلى ما قلت, وتقارب معنى بعض ذلك من بعض لأن الحزين المتضرّع إلى ربه الخاشع له بقلبه, ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه إياه في حاجاته, وتعتوره هذه الخلال التي وجه المفسرون إليها تأويل قول الله: أنّ إبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ.

الآية : 115

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتّىَ يُبَيّنَ لَهُم مّا يَتّقُونَ إِنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله, حتى يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا الانتهاء عنه فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه, فإنه لا يحكم عليكم بالضلال, لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهى, فأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه. إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهي الله إياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ما سلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهي عنه وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها, فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13588ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيُضِلّ قَوْما بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيّنَ لَهُمْ ما يَتّقُونَ قال: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة, وفي بيانه طاعته ومعصيته, فافعلوا أو ذروا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَما كانَ اللّهُ لِيُضِلّ قَوْما بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيّنَ لَهُمْ ما يَتّقُونَ قال: بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة, وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة, فافعلوا أو ذروا.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَما كانَ اللّهُ لِيُضِلّ قَوْما بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حتى يُبَيّنَ لَهُمْ ما يَتّقُونَ قال: يبين الله للمؤمنين في أن لا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته, فافعلوا أو ذروا.

الآية : 116

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس له سلطان السماوات والأرض وملكهما, وكلّ من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه, بيده حياتهم وموتهم, يحيي من يشاء منهم ويميت من يشاء منهم, فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بي من الملوك, ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم, واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي, فأني المعزّ من أشاء منهم ومنكم والمذلّ من أشاء. وهذا حضّ من الله جلّ ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك, وإغراء منه لهم بحربهم.

وقوله: وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِير يقول: وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه إن أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره يستنقذكم من عقابه, ولا نصير ينصركم منه إن أراد بكم سوءا. يقول: فبالله فثقوا, وإياه فارهبوا, وجاهدوا في سبيله من كفر به, فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة, تقاتلون في سبيله فتَقْتُلُونَ وَتُقْتَلُونَ.

الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ الله عَلَىَ النّبِيّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الّذِينَ اتّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مّنْهُمْ ثُمّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم, والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام, وأنصار رسوله في الله, الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء مِنْ بعدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِنْهُمُ يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحقّ ويشكّ في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدّة في سفره وغزوه. ثُمّ تابَ عَلَيْهِمْ يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحقّ الذي كان قد كاد يلتبس عليهم. إنّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ يقول: إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدّة والمشقة, رَءُوفٌ بهم, رَحِيمٌ أن يهلكهم, فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلو مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضرّاء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13589ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فِي ساعَةِ العُسْرَةِ في غزوة تبوك.
13590ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن عبد الله بن محمد بن عقيل: فِي ساعَةِ العُسْرَةِ قال: خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير, وخرجوا في حرّ شديد, وأصابهم يومئذ عطش شديد, فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها, كان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة.
13591ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ساعَةِ العُسْرَةِ قال: غزوة تبوك, قال: «العسرة»: أصابهم جهد شديد حتى أن الرجلين ليشقان التمرة بينهما وإنهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في ساعَةِ العُسرَةِ قال: غزوة تبوك.
13592ـ قال: حدثنا زكريا بن عليّ, عن ابن مبارك, عن معمر, عن عبد الله بن محمد بن عقيل, عن جابر: الَّذِينَ اتَّبَعُوهِ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ قال: عسرة الظهر, وعسرة الزاد, وعسرة الماء.
13593ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ تابَ اللّهُ على النّبِيّ والمُهاجِرَينِ والأنْصَارِ الّذِينَ اتّبَعُوهِ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ... الآية, الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو تبوك قِبَلَ الشأم في لهبان الحرّ على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد, حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما, وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها, فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم.
13594ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحرث, عن سعيد بن أبي هلال, عن عتبة بن أبي عتبة, عن نافع بن جبير بن مطعم, عن عبد الله بن عباس: أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه في شأن العسرة, فقال عمر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد, فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش, حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع, حتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظنّ أن رقبته ستنقطع, حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله إن الله قد عوّدك في الدعاء خيرا, فادع لنا قال: «تُحِبّ ذلكَ؟» قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء, فأظلت ثم سكبت, فملئوا ما معهم, ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.
حدثني إسحاق بن زيادة العطار, قال: حدثنا يعقوب بن محمد, قال: حدثنا عبد الله بن وهب, قال: حدثنا عمرو بن الحرث, عن سعيد بن أبي هلال, عن نافع بن جبير, عن ابن عباس, قال: قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه: حدثنا عن شأن جيش العسرة, فقال عمر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم ذكر نحوه.

الآية : 118

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَلَى الثّلاَثَةِ الّذِينَ خُلّفُواْ حَتّىَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنّوَاْ أَن لاّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ ثُمّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوَاْ إِنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا. وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل, هم الآخرون الذين قال جلّ ثناؤه: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّهِ إمّا يُعَذّبَهُمْ وإمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فتاب عليهم عزّ ذكره وتفضل عليهم. وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فتأويل الكلام إذًا: ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلّفهم الله عن التوبة, فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما:

13595ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عمن سمع عكرمة, في قوله: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: خلفوا عن التوبة.

13596ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أما قوله: خُلّفُوا فخلّفوا عن التوبة.

حتى إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ يقول: بسعتها غمّا وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أنْفُسُهُمْ بما نالهم من الوجد والكرب بذلك. وَظَنّوا أنْ لا مَلْجَأ يقول: وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجئون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجيهم من كربه, ولا مما يحذرون من عذاب الله إلا الله. ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته, والرجوع إلى ما يرضيه عنهم, لينيبوا إليه ويرجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه. أنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحيمُ يقول: إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته الموفق من أحبّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه, الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة, أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13597ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر, في قوله: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا: قال: كعب بن مالك, وهلال بن أمية, ومرارة بن ربيعة, وكلهم من الأنصار.

حدثني عبيد بن الورّاق, قال: حدثنا أبو أسامة, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر بنحوه, إلا أنه قال: ومرارة بن الربيع, أو ابن ربيعة, شكّ أبو أسامة.

13598ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن عكرمة وعامر: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: أُرجئوا في أوسط براءة.

13599ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: الذين أرجئوا في أوسط براءة, قوله: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْر اللّهِ هلال بن أمية, ومرارة بن ربيعة, وكعب بن مالك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا الذين أرجئوا في وسط براءة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن ليث, عن مجاهد: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: كلهم من الأنصار: هلال بن أمية, ومرارة بن ربيعة, وكعب بن مالك.
قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: الذين أرجئوا.
13600ـ قال: حدثنا جرير, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا: كعب بن مالك وكان شاعرا, ومرارة بن الربيع, وهلال بن أمية, وكلهم أنصار.
13601ـ قال: حدثنا أبو خالد الأحمر والمحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: كلهم من الأنصار: هلال بن أمية, ومرارة بن الربيع, وكعب بن مالك.
13602ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هاشم, عن جويبر, عن الضحاك, قوله: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: هلال بن أمية, وكعب بن مالك, ومرارة بن الربيع كلهم من الأنصار.
13603ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا... إلى قوله: ثُمّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا, إنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ كعب بن مالك, وهلال بن أمية, ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك. ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية, فقال: لا أطلقها أو لا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله: «واللّهِ لا أُطْلِقُهُ حتى يُطلِقَهُ رَبّهُ إنْ شاءَ». وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك, فجعله صدقة في سبيل الله, وقال: والله لا أطعمه وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى, وقدماه تشلشلان دما.
13604ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن السديّ, عن أبي مالك, قال: الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا: هلال بن أمية, وكعب بن مالك, ومرارة بن ربيعة.
13605ـ قال: حدثنا أبو داود الحفري, عن سلام أبي الأحوص, عن سعيد بن مسروق, عن عكرمة: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا قال: هلال بن أمية, ومرارة, وكعب بن مالك.
13606ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا ابن عون, عن عمر بن كثير بن أفلح, قال: قال كعب بن مالك: ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في تلك الغزاة. قال كعب بن مالك: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: أتجهز غدا ثم ألحقه فأخذت في جهازي, فأمسيت ولم أفرغ فلما كان اليوم الثالث أخذت في جهازي, فأمسيت ولم أفرغ, فقلت: هيهات, سار الناس ثلاثا فأقمت. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يعتذرون إليه, فجئت حتى قمت بين يديه فقلت: ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في هذه الغزاة. فأعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأمر الناس أن لايكلمونا, وأمرت نساؤنا أن يتحوّلن عنا. قال: فتسوّرت حائطا ذات يوم فإذا أنا بجابر بن عبد الله, فقلت: أي جابر, نشدتك بالله هل علمتني غششت الله ورسوله يوما قطّ؟ فسكت عني, فجعل لا يكلمني. فبينا أنا ذات يوم, إذ سمعت رجلاً على الثنيّةِ يقول: كعب كعب حتى دنا مني, فقال: بشّروا كعبا.

13607ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام, حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة, صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية. ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها, وأنزل الله: لَقَدْ تابَ اللّهُ على النّبِيّ والمُهاجِرِينَ والأنْصَارِ الّذِينَ اتّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ... الآية, والثلاثة الذين خلفوا: رهط منهم: كعب بن مالك وهو أحد بني سلمة, ومرارة بن ربيعة وهو أحد بني عمرو بن عوف, وهلال بن أمية وهو من بني واقف. وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلاً فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة, صدَقه أولئك حديثهم واعترفوا بذنوبهم, وكذب سائرهم, فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم إلا العذر, فقبل منهم رسول الله وبايعهم, ووكلهم في سرائرهم إلى الله. ونُهي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا, وقال لهم حين حدّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم: «قَدْ صَدَقْتُمْ فَقُومُوا حتى يَقْضِيَ اللّهُ فِيكُمْ» فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة, وقال للآخرين: سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ... حتى بلغ: لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ. قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك, وكان قائد كعب من بنيه حين عمي, قال: سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قطّ إلا في غزوة تبوك, غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش, حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام, وما أحبّ أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. فكان من خبري حين تخلفت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة, والله ما جمعت قبلها راحلتين قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد, واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز, واستقبل عدوّا كثيرا, فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم, فأخبرهم بوجهه الذي يريد, والمسلمون مع النبيّ صلى الله عليه وسلم كثير, ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا يظنّ أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله. وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال, وأنا إليهما أصعر. فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه, وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم, فلم أقض من جهازي شيئا, ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارط الغزو, وهممت أن أرتحل فأدركهم, فيا ليتني فعلت, فلم يقدّر ذلك لي, فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصا عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى بلغ تبوك, فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مالكٍ؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرْداه والنظر في عطفيه. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيضا يزول به السراب, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْ أبا خَيْثَمَةَ» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري, وهو الذي تصدّق بصاع التمر, فلمزه المنافقون. قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني همي, فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك بكلّ ذي رأي من أهلي. فلما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادما زاح عني الباطل, حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدا, فأجمعت صدقه. وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما, وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون, فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له, وكانوا بضعة وثمانين رجلاً, فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم, ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت, فلما سلمت تبسمّ تبسمّ المغضب, ثم قال: «تَعَالَ» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه, فقال لي: «ما خَلّفَكَ, أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قال: قلت يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلاً, ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ, ولئن حدّثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي عذر, والله ما كنت قطّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ, قُمْ حتى يَقْضِيَ اللّهُ فِيكَ» فقمت, وثار رجال من بني سلمة, فاتبعوني وقالوا: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا, لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون, فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني, حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذّب نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه, قال: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف, فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان, وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجْلَدَهُم, فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد, وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة, فأقول في نفسي هل حرّك شفتيه بردّ السلام أم لا؟ ثم أصلي معه وأسارقه النظر, فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين, مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليّ, فسلمت عليه, فوالله ما ر دّ عليّ السلام, فقلت: يا أبا قتادة

أنشدك بالله هل تعلم أني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت, قال: فعدت فناشدته فسكت, فعدت فنا شدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي, وتوليت حتى تسورت الجدار. فبينا أنا أمشي في سوق المدينة, إذا بنبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة, يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني, فدفع إليّ كتابا من ملك غسان, وكنت كاتبا, فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك, ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة, فالحق بنا نواسك قال: فقلت حين قرأته: وهذا أيضا من البلاء. فتأممت به التنّور فسجرته به. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسول رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك, قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها فلا تقربها قال: وأرسل إلى صاحبيّ بذلك, قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك تكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال: فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم, فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: «لا, وَلَكِنْ لا يَقْرُبَنّكِ» قالت: فقلت: إنه والله ما به حركة إلى شيء, ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يوم هذا قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه قال: فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم, وما يدريني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب. فلبثت بعد ذلك عشر ليال, فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا, فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت, سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر قال: فخررت ساجدا, وعرفت أن قد جاء فرج. قال: وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر, فذهب الناس يبشروننا, فذهب قِبَل صاحبي مبشرون, وركض رجل إليّ فرسا, وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل, وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ, فكسوتهما إياه ببشارته, والله ما أملك غيرهما يومئذ, واستعرت ثوبين فلبستهما. وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة, ويقولون: لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد, فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس, فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني, والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمّكَ» فقلت: أمن عندك يا رسول الله, أم من عند الله؟ قال: «لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللّهِ». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر, وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمْسِكْ بَعْضَ مالِكَ فَهُوَ

خَيْرٌ لَكَ» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق, وإن من توبتي أن لا أحدّث إلا صدقا ما بقيت قال: فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام أحسن مما ابتلاني, والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا, وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقى. قال: فأنزل الله: لَقَدْ تابَ اللّهُ على النّبِيّ... حتى بلغ: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا.... إلى: اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه, فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد: سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأعْرِضُوا عَنْهُمْ أنّهُمْ رِجْسٌ وَمأْوَاهُمْ جَهَنّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ... إلى قوله: لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ قال كعب: خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له, فبايعهم واستغفر لهم, وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه, فبذلك قال الله: وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه, فقبل منهم.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني الليث, عن عقيل, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك, أن عبد الله بن كعب بن مالك, وكان قائد كعب من بنيه حين عمي, قال: سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, فذكر نحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن عبد الرحمن بن كعب, عن أبيه, قال: لم أتخلف عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاها إلا بدرا, ولم يعاتب النبيّ صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر, ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن ابن شهاب الزهري, عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري, ثم السلمي, عن أبيه. أن أباه عبد الله بن كعب, وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره, قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, وحديث صاحبيه قال: ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها, غير أني كنت تخلفت عنه في غزوة بدر, ثم ذكر نحوه.

الآية : 119

القول في تأويل قوله تعالى: {يَـأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصّادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرّفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله, اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده, وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته, تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة. يعني مع من صدق الله الإيمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذّب قيلهم فعلهم.

وإنما معنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا, كما قال جلّ ثناؤه: وَمَنْ يُطِعِ اللّهِ وَالرّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الّذِينَ أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النّبِيّينَ والصّدّيقِينَ والشهَدَاءِ وَالصّالِحِينَ.

وإنما قلنا ذلك معنى الكلام, لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأيّ وجوه الكون كان معهم إن لم يكن عاملاً عملهم, وإذا عمل عملهم فهو منهم, وإذا كان منهم كان لا وجه في الكلام أن يقال: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بأن قال: معناه: وكونوا مع أبي بكر وعمر, أو مع النبيّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم. ذكر من قال ذلك أو غيره في تأويله:

13608ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن زيد بن أسلم, عن نافع, في قول الله: اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ قال: مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبويه أبو يزيد, عن يعقوب القمي, عن زيد بن أسلم, عن نافع, قال: قيل للثلاثة الذين خلفوا: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ محمد وأصحابه.

13609ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن عبد الرحمن المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ قال: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم.

13610ـ قال: حدثنا محمد بن يحيى, قال: حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلي, قال: حدثنا خلف بن خليفة, عن أبي هاشم الرماني, عن سعيد بن جبير, في قول الله: اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ قال: مع أبي بكر وعمر رحمة الله عليهما.

13611ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ قال: مع المهاجرين الصادقين.

وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه: «وكُونُوا مِنَ الصّادِقِينَ» ويتأوّله أن ذلك نهي من الله عن الكذب. ذكر الرواية عنه بذلك:

13612ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم العسقلاني, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول: قال ابن مسعود: إن الكذب لا يحلّ منه جدّ ولا هزل, اقرءوا إن شئتم: «يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مِنَ الصّادِقِينَ» قال: وكذلك هي قراءة ابن مسعود: «من الصادقين», فهل ترون في الكذب رخصة؟

قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: سمعت أبا عبيدة, عن عبد الله, نحوه.

قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: سمعت أبا عبيدة يحدّث, عن عبد الله قال: الكذب لا يصلح منه جدّ ولا هزل, اقرءوا إن شئتم: «يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا مِنَ الصّادِقِينَ» وهي كذلك في قراءة عبد الله, فهل ترون من رخصة في الكذب؟

13613ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن عبد الله, قال: لا يصلح الكذب في هزل ولا جدّ, ثم تلا عبد الله: اتّقُوا اللّهَ وكُونُوا ما أدري أقال «مِنَ الصّادِقِينَ» أو مَعَ الصّادِقِينَ وهو في كتابي: مَعَ الصّادِقِينَ.

قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن مجاهد, عن أبي معمر, عن عبد الله, مثله.
قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن عمرو بن مرّة, عن أبي عبيدة, عن عبد الله, مثله.
والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك, وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على: وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ, وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها, وتأويل عبد الله رحمة الله عليه في ذلك على قراءته تأويل صحيح غير, أن القراءة بخلافها.

الآية : 120

القول في تأويل قوله تعالى: {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مّنَ الأعْرَابِ أَن يَتَخَلّفُواْ عَن رّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوّ نّيْلاً إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره: لم يكن لأهل المدينة, مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومن حولهم من الأعراب سكان البوادي, الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك, وهم من أهل الإيمان به أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دارهم, ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه ومعاونته على ما يعانيه في غزوه ذلك. يقول: إنه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم وبسبب أنهم لا يصيبهم في سفرهم إذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب, يقول: ولا تعب, وَلا مَخْمَصَة فِي سَبِيلِ اللّهِ يعني: ولا مجاعة في إقامة دين الله ونصرته, وهدم منار الكفر. وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئا يعني أرضا, يقول: ولا يطئون أرضا يغيظ الكفار وطؤهم إياها. وَلا يَنالُونَ منْ عَدُوّ نَيْلاً يقول ولا يصيبون من عدوّ الله وعدوّهم شيئا في أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه. إنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ يقول: إن الله لا يدع محسنا من خلقه أحسن في عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه, أن يجازيه على إحسانه ويثيبه على صالح عمله فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر في هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك.
وقد اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية, فقال بعضهم: هي محكمة, وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة, لم يكن لأحد أن يتخلف إذا غزا خلافه فيقعد عنه إلا من كان ذا عذر, فأما غيره من الأئمة والولاة فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة. ذكر من قال ذلك:
13614ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ ولا يَرْغَبُوا بأنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِه هذا إذا غزا نبيّ الله بنفسه, فليس لأحد أن يتخلف. ذكر لَنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْلا أنْ أشُقّ على أُمّتِي ما تَخَلّفْتُ خَلْفَ سَرِيّة تَغْزُو في سَبِيلِ اللّهِ, لكِنّي لا أجِدُ سَعَةً فانْطَلِقْ بِهِمْ مَعِي, وَيَشُقّ عَليّ أو أكْرَهُ أنْ أدَعَهُمْ بَعْدِي».

13615ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: سمعت الأوزاعي, وعبد الله بن المبارك, والفزاري, والسبيعي, وابن جابر, وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ... إلى آخر الآية. إنها لأوّل هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله.

وقال آخرون: هذه الآية نزلت وفي أهل الإسلام قلة, فلما كثروا نسخها الله وأباح التخلف لمن شاء, فقال: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً. ذكر من قال ذلك:

13616ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ فقرأ حتى بلغ: لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أحْسَنَ ما كانُوا يعْمَلُونَ قال: هذا حين كان الإسلام قليلاً, فلما كثر الإسلام بعد قال: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَة مِنْهُمْ طائِفَةٌ... إلى آخر الآية.

والصواب من القول في ذلك عندي, أن الله عني بها الذين وصفهم بقوله: وجاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ... الآية, ثم قال جلّ ثناؤه: ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كلّ من أطاق النهوض معه إلى الشخوص إلا من أذن له أو أمره بالمقام بعده, فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف, فعدّد جلّ ثناؤه من تخلف منهم, فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر, وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شكّ ولا ارتياب في أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل. فأما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك, وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم, فليس بفرض على جميعهم النهوض معه إلا في حال حاجته إليهم لما لا بدّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم فيلزمهم حينئذ طاعته. وإذا كان ذلك معنى الآية لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى, إذ لم تكن إحداهما نافية حكم الأخرى من كلّ وجوهه, ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى.

وقد بيّنا معنى المخمصة وأنها المجاعة بشواهده, وذكرنا الرواية عمن قال ذلك في موضع غير هذا, فأغني ذلك عن إعادته ههنا.

وأما النيل: فهو مصدر من قول القائل: نالني ينالني, ونلت الشيء: فهو منيل, وذلك إذا كنت تناله بيدك, وليس من التناول, وذلك أن التناول من النوال, يقال منه: نلت له أنول له من العطية. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: النيل مصدر من قول القائل: نالني بخير ينولني نوالاً, وأنالني خيرا إنالة وقال: كأنّ النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو. وليس ذلك بمعروف في كلام العرب, بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت وانفتح ما قبلها, كقولهم: القَوْل, والعَوْل, والحَوْل, ولو جاز ما قال لجاز القَيْل.

الآية : 121

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ, وسائر ما ذكر, ولا ينالون من عدوّ نيلاً, ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله, ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه واديا إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك, جزاءً لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم.

كما:

13617ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً... الآية, قال: ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قربا.

الآية : 122

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لّيَتَفَقّهُواْ فِي الدّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوَاْ إِلَيْهِمْ لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا. وقد بيّنا معنى الكافّة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه, فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله بهذه الآية وما النفر الذي كرهه لجميع المؤمنين, فقال بعضهم: هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام, فلما نزل قوله: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ انْصَرفوا عن البادية إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه وممن عني بالآية. فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً وكره انصراف جميعهم من البادية إلى المدينة.

ذكر من قال ذلك:

13618ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائفَةٌ قال: ناس مِن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي, فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به, ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى, فقال الناس لهم: ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا, وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال الله: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ يبتغون الخير, لِيَتَفَقّهُوا وليسمعوا ما في الناس, وما أنزل الله بعدهم, وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ الناس كلهم, إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال في حديثه: فقال الله: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ خرج بعض وقعد بعض, يبتغون الخير.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد نحو حديثه, عن أبي حذيفة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد نحو حديث المثنى عن أبي حذيفة, غير أنه قال في حديثه: ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم, وقال: لِيَتَفَقّهُوا ليسمعوا ما في الناس.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعا إلى عدوّهم ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده. كما:

13619ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافَّةً قال: ليذهبوا كلهم, فلولا نفر من كلّ حيّ وقبيلة طائفة وتخلف طائفة ليتفقهوا في الدين, ليتفقه المتخلفون مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في الدين, ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون. ذكر من قال ذلك:

13620ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وحده. فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ يعني عصبة, يعني السرايا, ولا يتسروا إلا بإذنه, فإذا رجعت السرايا, وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبيّ صلى الله عليه وسلم, قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخر, فذلك قوله: لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّين يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبيه, ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم لعلّهم يحذرون.

13621ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً.... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ قال: هذا إذا بعث نبيّ الله الجيوش أمرهم أن لا يعرّوا نبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه في الدين, وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذّرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم.

13622ـ حدثنا الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً... الآية, كان نبيّ الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر, وكان إذا أقام فأسرت السرايا لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلا بإذنه. فكان الرجل إذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبيّ الله على أصحابه القاعدين معه, فإذا رجعت السرية قال لهم الذي أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرءونهم, ويفقهونهم في الدين. وهو قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً يقول: إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم, فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ يعني بذلك أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبيّ الله قاعد, ولكن إذا قعد نبيّ الله تسرّت السرايا وقعد معه معظم الناس.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين, ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ولكنهم منافقون, ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه في الدين ولينذر قومه إذا رجع إليهم. ذكر من قال ذلك:

13623ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً فإنها ليست في الجهاد, ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين, أجدبت بلادهم, وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد, ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون, فضيقوا على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم. وأنزل الله يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين, فردّهم رسول الله إلىَ عشائرهم,

وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله: وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعلّهُمْ يَحْذَرُونَ.

وقد رُوي عن ابن عباس في ذلك قول ثالث, وهو ما:

13624ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ قال: كان ينطلق من كلّ حيّ من العرب عصابة فيأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ويتفقهون في دينهم, ويقولون لنبيّ الله: ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم قال فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله, ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة. وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا: إن من أسلم فهو مّنا وينذرونهم, حتى إن الرجل ليعرّف أباه وأمه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم, فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة.

وقال آخرون: إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا بأعراب المسلمين وعزّروهم في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم ممن قد عذره الله بالتخلف. ذكر من قال ذلك:

13625ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن سليمان الأحول, عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ... إلى: إنّ اللّهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُحْسِنينَ قال ناس من المنافقين: هلك من تخلف فنزلت: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً... إلى: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ, ونزلت: وَالّذِينَ يُحاجّونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ دَاحِضَةٌ... الآية.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, قال: حدثنا سليمان الأحول عن عكرمة, قال: سمعته يقول: لما نزلت: إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذّبْكُمْ عَذَابا أَلِيما وَما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ... إلى قوله: لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ قال المنافقون: هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم, فأنزل الله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ, ونزلت: والّذِينَ يُحاجّونَ في اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ... الآية.

واختلف الذين قالوا عني بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية وترك النبيّ عليه الصلاة والسلام وحده في المعنيين بقوله: لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّينَ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ فقال بعضهم: عني به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا: معنى الكلام: فهلا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم وذلك قول قتادة, وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبي عروبة. وقد:

13626ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّينِ... الآية, قال: ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله. وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ يقول: لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم.

13627ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن وقتادة: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً قالا: كافة, ويدعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك: لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة وتحذر النافرةُ المتخلفةَ. ذكر من قال ذلك:

13628ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّينِ قال: ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة, وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله: وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده, وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ولكن عليهم إذا سرى رسول الله سرية أن ينفر معها من كلّ قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة. طائفة وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد, كما قال الله جلّ ثناؤه: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ يقول: فهلاّ نفر من كلّ فرقة منهم طائفة وهذا إلى هاهنا على أحد الأقوال التي رُويت عن ابن عباس, وهو قول الضحاك وقتادة.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب, لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة, مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم, ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدوّ قبل هذه الآية بقوله: ما كانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أنْ يَتَخَلّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ, ثم عقب ذلك جلّ ثناؤه بقوله: وَما كانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّةً فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرّفهم في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ, وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته وإشخاص غيره عنها, كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

وأما قوله: لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّينِ وَلِيُنْذِرُوا قوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ. فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به, فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه, ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم. لَعَلّهُمْ يَحْذَرُونَ يقول: لعلّ قومهم إذا هم حذّروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون, فيؤمنون بالله ورسوله, حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب, وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه لأن النفر قد بيّنا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو فإذا كان ذلك هو

الأغلب من المعاني فيه, وكان جلّ ثناؤه قال: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقّهُوا في الدّينِ علم أن قوله: «ليتفقهوا» إنما هو شرط للنفر لا لغيره, إذ كان يليه دون غَيره من الكلام.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون معناه: ليتفقه المتخلفون في الدين؟

قيل: ننكر ذلك لاستحالته وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة, وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه. وبعد, فإنه قال جلّ ثناؤه: وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ عطفا به على قوله: لِيَتَفَقّهُوا فِي الدّينِ ولا شكّ أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها, وللإنذار وخوف الوعيد نفرت, فما وجه إنذرا الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى, لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة, لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاين المقيمة, ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها ومن لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك.

الآية : 123

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الّذِينَ يَلُونَكُمْ مّنَ الْكُفّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليَكم من الكفار دون من بعُد منهم, يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم دارا دون الأبعد فالأبعد. وكان الذي يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم, لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ, والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد, فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام, فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم, لأن المسلمين يد على من سواهم. ولصحة كون ذلك, تأوّل كل من تأوّل هذه الآية أن معناها إيجاب الفرض على أهل كلّ ناحية قتال من وليهم من الأعداء. ذكر الرواية بذلك:

13629ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن شبيب بن غرقدة, عن عروة البارقي, عن رجل من بني تميم, قال: سألت ابن عمر عن قتال الديلم, قال: عليك بالروم.

13630ـ حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق وسفيان بن وكيع, قالوا: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن يونس عن الحسن: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ قال: الديلم.

13631ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الربيع, عن الحسن: أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ.

13632ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, قال: حدثنا عمران أخي, قال: سألت جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين, فقلت: ما ترى في قتال الديلم؟ فقال: قاتلوهم ورابطوهم, فإنهم من الذين قال الله: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن الربيع, عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم, فقال: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ: الديلم.

13633ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد, قال: سمعت أبا عمرو وسعيد بن عبد العزيز يقولان: يرابط كلّ قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم. ويتأوّلان قول الله: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ.

13634ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ قال: كان الذين يلونهم من الكفار العرب, فقاتلوهم حتى فرغ منهم. فلما فرغ قال الله: قاتِلُوا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ... حتى بلغ: وَهُمْ صَاغِرُونَ قال: فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب, قال: وجهادهم أفضل الجهاد عند الله.

وأما قوله: وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً فإن معناه: وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فِيكُمْ أي منكم شدّة عليهم. وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ مَعَ المُتقِينَ يقول: وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم, فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه, فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه.

الآية : 124

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مّن يَقُولُ أَيّكُمْ زَادَتْهُ هَـَذِهِ إِيمَاناً فَأَمّا الّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول: أيها الناس أيكم زادته هذه السورة إيمانا؟ يقول تصديقا بالله وبآياته. يقول الله: فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك, فزادتهم السورة التي أنزلت إيمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

فإن قال قائل: أو ليس الإيمان في كلام العرب التصديق والإقرار؟ قيل: بلى. فإن قيل: فكيف زادتهم السورة تصديقا وإقرارا؟ قيل: زادتهم إيمانا حين نزلت, لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الإقرار بها والعمل بها بعينها إلا في جملة إيمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحقّ فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله, ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه, فكان ذلك هو الزيادة التي زادهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13635ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَإذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أيّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمانا قال: كان إذا نزلت سورة آمنوا بها, فزادهم الله إيمانا وتصديقا, وكانوا يستبشرون.

13636ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, في قوله: فَزَادَتْهُمْ إيمَانا قال: خشية.

الآية : 125

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّا الّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىَ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين في قلوبهم مرض, نفاق وشكّ في دين الله, فإن السورة التي أنزلت زادتهم رجسا إلى رجسهم وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله, فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا, فكان ذلك زيادة شكّ حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم بل ارتابوا بذلك, فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق, وذلك معنى قوله: فَزَادَتْهُمْ رِجْسا إلى رِجْسِهِمْ وَماتُوا يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا, وَهُمْ كافِرُونَ يعني وهم كافرون بالله وآياته.

الآية : 126

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عَامٍ مّرّةً أَوْ مَرّتَيْنِ ثُمّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذّكّرُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: أَوَ لا يَرَوْنَ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: أوَ لا يَرَوْنَ بالياء, بمعنى أو لا يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرض النفاق. وقرأ ذلك حمزة: «أوَ لا تَرَوْنَ» بالتاء, بمعنى أو لا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون؟

والصواب عندنا من القراءة في ذلك: الياء, على وجه التوبيخ من الله لهم, لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه وصحة معناه: فتأويل الكلام إذا: أوَ لا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم في كلّ عام مرّة أو مرّتين, بمعنى أنه يختبرهم في بعض الأعوام مرّة, وفي بعضها مرّتين. ثم لا يَتُوبُونَ يقول: ثم هم مع البلاء الذي يحلّ بهم من الله والاختبار الذي يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم, ولا يتوبون من كفرهم, ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته, فيعظوا بها ولكنهم مصرّون على نفاقهم.

واختلف أهل التأويل في معنى الفتنة التي ذكر الله في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها, فقال بعضهم: ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدّة. ذكر من قال ذلك:

13637ـ حدثنا ابن وكيع, حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوَ لا يَرَوْنَ أنّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عامٍ مَرّةً أوْ مَرّتَيْنِ قال: بالسنة والجوع.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يُفْتَنون قال: يُبتلون, في كلّ عام مَرّةً أوْ مَرّتَيْنِ قال: بالسنة والجوع.

13638ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوَ لا يَرَوْنَ أنّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عامٍ مَرّةً أوْ مَرّتَيْنِ قال: يُبتلون بالعذاب في كل عام مرّة أو مرّتين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عامٍ مَرّةً أوْ مَرّتَيْنِ قال: بالسنة والجوع.

وقال آخرون: بل معناه أنهم يختبرون بالغزو والجهاد. ذكر من قال ذلك:

13639ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أوَ لا يَرَوْنَ أنّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عامٍ مَرّةً أوْ مَرّتَيْنِ قال: يُبتلون بالغزو في سبيل الله في كلّ عام مرّة أو مرّتين.

13640ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن, مثله.
وقال آخرون: بل معناه: أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, فيفتتن بذلك الذين في قلوبهم مرض. ذكر من قال ذلك:
13641ـ حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن جابر, عن أبي الضحى, عن حذيفة: أوَ لا يَرَوْنَ أنّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلّ عامٍ مَرّةً أوْ مَرَتَيْنِ قال: كنا نسمع في كلّ عام كذبة أو كذبتين, فيضلّ بها فئام من الناس كثير.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن جابر, عن أبي الضحى, عن حذيفة, قال: كان لهم في كلّ عام كذبة أو كذبتان.
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله عجّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين, ووبخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها. وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التي يُنزلها بهم من الجوع والقحط, وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم, وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك, دون بعض من الوجه الذي يجب التسليم له, ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله, وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كلّ عام مرّة أو مرّتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون.

الآية : 127

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مّنْ أَحَدٍ ثُمّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَفْقَهُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هذه السورة, وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم إلى بعض, فتناظروا هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به, ثم قام فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معايبهم. ثم ابتدأ جلّ ثناؤه قوله: صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ فقال: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ يقول: فعل الله بهم هذا الخذلان, وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه, استكبارا ونفاقا.
واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام, فقال بعض نحويي البصرة, قال: نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد؟ كأنه قال: قال بعضهم لبعض لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماءً وتنبيها به, والله أعلم.
وقال بعض نحويي الكوفة: إنما هو: وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد؟ وقال آخر منهم: هذا النظر ليس معناه القول, ولكنه النظر الذي يجلب الاستفهام كقول العرب: تناظروا أيهم أعلم, واجتمعوا أيهم أفقه أي اجتمعوا لينظروا, فهذا الذي يجلب الاستفهام.

13642ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن أبي حمزة, عن ابن عباس, قال: لا تقولوا: انصرفنا من الصلاة, فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم, ولكن قولوا: قد قضينا الصلاة.
قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمير بن تميم الثعلبي, عن ابن عباس, قال: لا تقولوا: انصرفنا من الصلاة, فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم.
قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن ابن عباس, قال: لا تقولوا انصرفنا من الصلاة, فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم, ولكن قولوا: قد قضينا الصلاة.
13643ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ... الآية, قال: هم المنافقون.
وكان ابن زيد يقول في ذلك, ما:
13644ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أحَدٍ ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم, قال: وهم المنافقون. قال: وقرأ: وإذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إيّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمَانا... حتى بلغ: نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أحَدٍ أخبره بهذا, أكان معكم أحد سمع كلامكم, أحد يخبره بهذا؟
13645ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا أبو إسحاق الهمداني, عمن حدثه, عن ابن عباس, قال: لا تقل انصرفنا من الصلاة, فإن الله عَيّر قوما فقال: انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّهُ قُلُوَبهُمْ ولكن قل: قد صلينا.

الآية : 128

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره للعرب: لَقَدْ جاءَكُمْ أيها القوم رَسُولٌ الله إليكم مِنْ أنْفُسِكُمْ تعرفونه لا من غيركم, فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم. عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنتّمْ: أي عزيز عليه عنتكم, وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى. حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يقول: حريص على هدى ضلاّلكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحقّ. بالمُؤْمِنِينَ رَءُؤفٌ: أي رفيق رَحِيمٌ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13646ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن جعفر بن محمد, عن أبيه, في قوله: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ قال: لم يصبه شيء من شرك في ولادته.
13647ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن جعفر بن محمد, في قوله: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية. قال: وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّي خَرَجْتُ مِنْ نِكاحٍ ولَمْ أخْرُجْ مِنْ سِفاحٍ».
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن ابن عيينة, عن جعفر بن محمد, عن أبيه, بنحوه.

13648ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ قال: جعله الله من أنفسهم, ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة.

وأما قوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معناه: ما ضللتم. ذكر من قال ذلك:

13649ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا طلق بن غنام, قال: حدثنا الحكم بن ظهير عن السديّ, عن ابن عباس, في قوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ قال: ما ضللتم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: عزيز عليه عنت مؤمنكم. ذكر من قال ذلك:

13650ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ عزيز عليه عنت مؤمنهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس وذلك أن الله عمّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه, ولم يخصص أهل الإيمان به, فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم؟ قيل: إن إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحبّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه حتى يستحقوا ذلك من الله, وإنما وصفه الله جلّ ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم, لأنه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي.

وأما «ما» التي في قوله: ما عَنِتّمْ فإنه رفع بقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ لأن معنى الكلام: ما ذكرت عزيز عليه عنتكم.

وأما قوله: حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ فإن معناه: ما قد بينت, وهو قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك:

13651ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ حريص على ضالهم أن يهديه الله.

13652ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ قال: حريص على من لم يسلم أن يسلم.

الآية : 129

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَهُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: فإن تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحقّ من عند ربك من قومك, فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله وما دعوتهم إليه من النور والهدى, فقل حسبي الله, يكفيني ربي لا إلَهِ إلاّ هُوَ لا معبود سواه, عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وبه وثقت, وعلى عونه اتكلت, وإليه وإلى نصره استندت, فإنه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس. وَهُوَ رَبّ العَرْشِ العَظِيم الذي يملك كل ما دونه, والملوك كلهم مماليكه وعبيده. وإنما عنى بوصفه جلّ ثناؤه نفسه بأنه ربّ العرش العظيم, الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفي ملكه وسلطانه لأن العرش العظيم إنما يكون للملوك, فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون

سائر خلقه وأنه الملك العظيم دون غيره وأن من دون في سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه.
13653ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فإنْ تَوَلّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ يعني الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهذه في المؤمنين.
13654ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عبيد بن عمير, قال: كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان, فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ فقال عمر: لا أسألك عليهما بينة أبدا, كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
13655ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس, عن زهير, عن الأعمش, عن أبي صالح الحنفي, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ رَحِيمٌ يُحِبّ كُلّ رَحِيم, يَضَعُ رَحْمَتَهُ على كُلّ رَحِيمٍ». قالوا: يا رسول الله إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال: وأراه قال: وأزواجنا. قال: «ليسَ كذلكَ, ولكِنْ كُونُوا كمَا قَالَ اللّهُ: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فإنْ تَوَلّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إلَهَ إلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَهُوَ رَبّ العَرْشِ العَظِيمِ» أراه قرأ هذه الآية كلها.
13656ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن عليّ بن زيد, عن يوسف, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب, قال: آخر آية نزلت من القرآن: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ... إلى آخر الآية.
حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا شعبة, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مهران, عن ابن عباس, عن أبيّ, قال: آخر آية نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ... الآية.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا شعبة, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مهران, عن أبيّ, قال: أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ... إلى آخر الآيتين.
حدثني أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن محمد, قال: حدثنا أبان بن يزيد العطار, عن قتادة, عن أبيّ بن كعب, قال: أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ... إلى آخر السورة.

سورة يونس

مكية
وآياتها تسع ومائة
القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

تأويل قوله تعالى: {الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيم }.
قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في ذلك, فقال بعضهم: تأويله أنا الله أرى. ذكر من قال ذلك:

13657ـ حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي روق, عن الضحاك, في قوله: الر: أنا الله أرى.
13658ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن عطاء بن السائب, عن أبي الضحى عن ابن عباس, قوله: الر قال: أنا الله أرى.
وقال آخرون: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن. ذكر من قال ذلك:
13659ـ حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه, قال: حدثنا عليّ بن الحسين, قال: ثني أبي, عن يزيد, عن عكرمة عن ابن عباس: «الر, وحم, ونون» حروف الرحمن مقطعة.
13660ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان, قال: ذكر سالم بن عبد الله: «الر, وحم ونون» فقال: اسم الرحمن مقطع. ثم قال: الرحمن.
13661ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبي حماد, قال: حدثنا مندل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, قال: «الر, وحم, ونون» هو اسم الرحمن.
13662ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو الكلبي, عن أبي عوانة, عن إسماعيل بن سالم, عن عامر أنه سئل عن: «الر, وحم, وص» قال: هي أسماء الله مقطعة بالهجاء, فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى.
وقال آخرون: هي اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:
13663ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: الر اسم من أسماء القرآن.
وقد ذكرنا اختلاف الناس وما إليه ذهب كلّ قائل في الذي قال فيه, وما الصواب لدينا من القول في ذلك في نظيره, وذلك في أوّل سورة البقرة, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وإنما ذكرنا في هذا الموضع القدر الذي ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله في هذا قول في الم, فأما الذين وفقوا بين معاني جميع ذلك, فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفيا عن الإعادة ههنا.
القول في تأويل قوله تعالى: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ.
واختلف في تأويل ذلك, فقال بعضهم: تلك آيات التوراة. ذكر من قال ذلك:
13664ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن مجاهد: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ قال: التوراة والإنجيل.
13665ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ قال: الكتب التي كانت قبل القرآن.
وقال آخرون: معنى ذلك: هذه آيات القرآن.
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوّله: هذه آيات القرآن, ووجه معنى «تلك» إلى معنى «هذه», وقد بيّنا وجه توجيه تلك إلى هذا المعنى في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته. والآيات الأعلام, والكتاب اسم من أسماء القرآن, وقد بيّنا كلّ ذلك فيما مضى قبل.
وإنما قلنا هذا التأويل أولى في ذلك بالصواب, لأنه لم يجيءْ للتوراة والإنجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده فيوجه إليه الخبر, فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم. ومعنى «الحكيم» في

هذا الموضع: «المحكم» صرف مفعل إلى فعيل, كما قيل عذاب أليم, بمعنى مؤلم, وكما قال الشاعر:
أمنْ رَيحانةَ الدّاعي السّميعُ
وقد بيّنا ذلك في غير موضع من الكتاب. فمعناه إذا: تلك آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيّنه لعباده, كما قال جلّ ثناؤه: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىَ رَجُلٍ مّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النّاسَ وَبَشّرِ الّذِينَ آمَنُوَاْ أَنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنّ هَـَذَا لَسَاحِرٌ مّبِينٌ }.
يقول تعالى ذكره: أكان عجبا للناس إيحاؤنا القرآن على رجل منهم بإنذارهم عقاب الله على معاصيه, كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر, فتعجبوا من وحينا إليه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13666ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك عن ابن عباس, قال: لما بعث الله محمدا رسولاً أنكرت العرب ذلك, أو من أنكر منهم, فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى: أكانَ للنّاسِ عَجَبا أنْ أوْحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ... وقال: وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً.
13667ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: عجبت قريش أن بُعث رجل منهم. قال: ومثل ذلك: وَإلى عاد أخاهُمْ هُودا وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحا قال الله: أوَ عَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبّكُمْ على رَجُل مِنْكُمْ.
القول في تأويل قوله تعالى: وَبَشّرِ الّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ.
يقول جلّ ثناؤه: أكان عجبا للناس أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس, وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على «أنذر».
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: قَدَمَ صِدْق فقال بعضهم: معناه: أن لهم أجرا حسنا بما قدّموا من صالح الأعمال. ذكر من قال ذلك:
13668ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: ثواب صدق.
13669ـ قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: الأعمال الصالحة.
13670ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَبَشّرِ الّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ يقول: أجرا حسنا بما قدّموا من أعمالهم.
13671ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن حبان, عن إبراهيم بن يزيد, عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث عن مجاهد: أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: صلاتهم, وصومهم, وصدقتهم, وتسبيحهم.
13672ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قَدَمَ صِدْقٍ قال: خير.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قَدَمَ صِدْق مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
13673ـ قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, قال: قَدَمَ صِدْق ثواب صدق عند ربهم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, مثله.
13674ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ قال: القدم الصدق: الثواب الصدق بما قدموا من الأعمال.
وقال آخرون: معناه: أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة. ذكر من قال ذلك:
13675ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ يقول: سبقت لهم السعادة في الذكر الأوّل.
وقال آخرون: معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم, قَدَمَ صدق. ذكر من قال ذلك:
13676ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن فضيل بن عمرو بن الجون, عن قتادة أو الحسن: أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: محمد شفيع لهم.
13677ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ: أي سلف صدق عند ربهم.
13678ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن زيد بن أسلم, في قوله: أنّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: محمد صلى الله عليه وسلم.
قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب, قول من قال: معناه أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك أنه محكيّ عن العرب: هؤلاء أهل القدم في الإسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا, فكان لهم فيه تقديم, ويقال: له عندي قدم صدق وقدم سوء, وذلك ما قدم إليه من خير أو شرّ, ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:
لَنا القَدَمُ الأُولى إلَيْكَ وخَلْفُنالأوّلِنا في طاعَةِ اللّهِ تابِعُ
وقول ذي الرمّة:
لَكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النّاسُ أنّهامَعَ الحَسَبِ العادِيّ طَمّتْ على البَحْرِ
فتأويل الكلام إذا: وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الأعمال الصالحة عند ربهم.
القول في تأويل قوله تعالى: قال الكافِرُونَ إنّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ.
اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة: إنّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ بمعنى: إن هذا الذي جئتنا به, يعنون القرآن «لَسِحْرٌ مُبِينٌ». وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قرّاء الكوفيين: إنّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته, وصفته عليه, فالقارىء مخير في القراءة في

ذلك وذلك نظير هذا الحرف: قال الكافِرُونَ إنّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ» ولساحر مبين وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر, ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدلّ على أنهم قد وصفوه بالسحر. وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأيّ ذلك قرأ القارىء لاتفاق معنى القراءتين. وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو: فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي, قال الكافرون إن هذا الذي جاءنا به لسحر مبين.

فتأويل الكلام إذا: أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم, أن أنذر الناس, وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم, فلما أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم, قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله: إن هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين أي يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبّرُ الأمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذي له عبادة كلّ شيء, ولا تنبغي العبادة إلا له, هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام, وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير, ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور وقاضيا في خلقه ما أحبّ, لا يضادّه في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل. ما مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ يقول: لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة. ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ يقول جلّ جلاله: هذا الذي هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع, ولا يبصر, ولا يدبر, ولا يقضي من الآلهة والأوثان. فاعْبُدُوهُ يقول: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته, وأخلصوا له العبادة, وأفردوا له الألوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة. أفَلا تَذَكّرُونَ يقول: أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج, فتنيبون إلى الإذعان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة, وتجمعون الأنداد وتبرءون منها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13679ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يُدَبّرُ الأمْرَ قال: يقضيه وحده.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الأعلى, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد: يُدَبّرُ الأمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ قال: يقضيه وحده.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يُدَبّرُ الأمْرَ قال: يقضيه وحده.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إلى ربكم الذي صفته ما وصف جلّ ثناؤه في الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا. وَعْدَ اللّهِ حَقّا فأخرج «وعد الله» مصدرا من قوله: إِلَيْهِ مَرْجَعُكُمْ لأن فيه معنى الوعد, ومعناه: يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقّا, فلذلك نصب وَعْدَ الله حَقّا. إِنّهُ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ يقول تعالى ذكره: إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده, فيوجده حيّا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه. كما:

13680ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ قال: يحييه ثم يميته.

قال أبو جعفر: وأحسبه أنه قال: «ثم يحييه».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ قال: يحييه ثم يميته ثم يحييه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ: يحييه ثم يميته, ثم يبدؤه ثم يحييه.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه.

وقرأت قرّاء الإمصار ذلك: إنّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ بكسر الألف من إنه على الاستئناف. وذُكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الألف من «أنه» كأنه أراد: حقّا أن يبدأ الخلق ثم يعيده, ف «أنّ» حينئذ تكون رفعا, كما قال الشاعر:

أحَقّا عِبادَ اللّهِ أنْ لَسْتُ زَائراأبا حَبّةٍ إلاّ عليّ رَقِيبُ

وقوله: لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ بالقِسْطِ يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره, لَيْجزِيَ الّذِينَ آمَنُوا يقول: ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقِسْطِ يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء في الآخرة, وذلك هو القسط. والقسط العدل والإنصاف كما:

13681ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بالقِسْطِ بالعدل.

وقوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ فإنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدّ الله للذين كفروا من العذاب. وفيه معنى العطف على الأوّل, لأنه تعالى ذكره عمّ بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم إليه, ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كلّ فريق بما عمل, المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة. ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعدّ للذين كفروا من العذاب ما يدلّ سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعني العطف, فقال: والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله, لهم شراب في جهنم من حميم, وذلك شراب قد أغلي واشتدّ حرّه حتى أنه فيما ذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه, وكما وصفه جلّ ثناؤه: كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ. وأصله مفعول صرف إلى فعيل, وإنما هو «محموم»: أي مسخن, وكلّ مسخن عند العرب فهو حميم, ومنه قول المرقش:

فِي كُلّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌفِيها كِباءٌ مُعَدّ وحَمِيمْ

يعني بالحميم: الماء المسخن. وقوله: عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

{هُوَ الّذِي جَعَلَ الشّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاّ بِالْحَقّ يُفَصّلُ الاَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض هُوَ الّذِي جَعَلَ الشّمْسَ ضِياءً بالنهار والقَمَرَ نُورا بالليل, ومعنى ذلك: هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر, وَقَدّرَهُ مَنازِلَ يقول: قضاه فسوّاه منازل لا يجاوزها, ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا. وقال: وَقَدّرَهُ مَنازِلَ فوحده, وقد ذكر الشمس والقمر, فإن في ذلك وجهين: أحدهما أن تكون الهاء في قوله: وَقَدّرَهُ للقمر خاصة, لأن بالأهلّة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس. والآخر: أن يكون اكتفي بذكر أحدهما عن الآخر, كما قال في موضع آخر: وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أَنْ يُرْضُوهُ وكما قال الشاعر:

رَمانِي بأمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالدِيبَرِيّا وَمِنْ جُولِ الطّوِيّ رَمانِي

وقوله: لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السّنِينَ والحسابَ يقول: وقدّر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين: دخول ما يدخل منها, وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها, يقول: وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها. ما خَلَقَ اللّهُ ذلكَ إلا بالحَقّ يقول جلّ ثناؤه: لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحقّ, يقول الحقّ تعالى ذكره: خلقت ذلك كله بحقّ وحدي بغير عون ولا شريك. يُفَصّلُ الآيَاتِ يقول: يبين الحجج والأدلة لِقَوْم يَعْلَمُونَ إذا تدبروها, حقيقة وحدانية الله, وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الأنداد والبراءة من الأوثان.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إلى ربكم الذي صفته ما وصف جلّ ثناؤه في الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا. وَعْدَ اللّهِ حَقّا فأخرج «وعد الله» مصدرا من قوله: إلَيْهِ مَرْجَعُكُمْ لأن فيه معنى الوعد, ومعناه: يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقّا, فلذلك نصب وَعْدَ الله حَقّا. إنّهُ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ يقول تعالى ذكره: إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده ثم يعيده, فيوجده حيّا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه. كما:

13680ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ قال: يحييه ثم يميته.

قال أبو جعفر: وأحسبه أنه قال: «ثم يحييه».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ قال: يحييه ثم يميته ثم يحييه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ: يحييه ثم يميته, ثم يبدؤه ثم يحييه.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه.

وقرأت قرّاء الإمصار ذلك: إنّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ بكسر الألف من إنه على الاستئناف. وذُكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه أنه بفتح الألف من «أنه» كأنه أراد: حقّا أن يبدأ الخلق ثم يعيده, ف «أنّ» حينئذ تكون رفعا, كما قال الشاعر:

أَحَقّا عِبادَ اللّهِ أنْ لَسْتُ زَائراأبا حَبّةٍ إلاّ عليّ رَقِيبُ

وقوله: لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ بالقِسْطِ يقول: ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره, لَيْجزِيَ الّذِينَ آمَنُوا يقول: ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقِسْطِ يقول: ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء في الآخرة, وذلك هو القسط. والقسط العدل والإنصاف كما:

13681ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بالقِسْطِ بالعدل.

وقوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ فإنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدّ الله للذين كفروا من العذاب. وفيه معنى العطف على الأوّل, لأنه تعالى ذكره عمّ بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم إليه, ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كلّ فريق بما عمل, المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة. ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعدّ للذين كفروا من العذاب ما يدلّ سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعني العطف, فقال: والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله, لهم شراب في جهنم من حميم, وذلك شراب قد أغلي واشتدّ حرّه حتى أنه فيما ذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه, وكما وصفه جلّ ثناؤه: كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ. وأصله مفعول صرف إلى فعيل, وإنما هو «محموم»: أي مسخن, وكلّ مسخن عند العرب فهو حميم, ومنه قول المرقش:

فِي كُلّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌفِيها كِباءٌ مُعَدّ وحَمِيمْ

يعني بالحميم: الماء المسخن. وقوله: عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

{هُوَ الّذِي جَعَلَ الشّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاّ بِالْحَقّ يُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض هُوَ الّذِي جَعَلَ الشّمْسَ ضِياءً بالنهار والقَمَرَ نُورا بالليل, ومعنى ذلك: هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر, وَقَدّرَهُ مَنازِلَ يقول: قضاه فسوّاه منازل لا يجاوزها, ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا. وقال: وَقَدّرَهُ مَنازِلَ فوحده, وقد ذكر الشمس والقمر, فإن في ذلك وجهين: أحدهما أن تكون الهاء في قوله: وَقَدّرَهُ للقمر خاصة, لأن بالأهلّة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس. والآخر: أن يكون اكتفي بذكر أحدهما عن الآخر, كما قال في موضع آخر: وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أنْ يُرْضُوهُ وكما قال الشاعر:

رَمانِي بأمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِيبَرِيّا وَمِنْ جُولِ الطّوِيّ رَمانِي

وقوله: لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السّنِينَ والحسابَ يقول: وقدّر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين: دخول ما يدخل منها, وانقضاء ما يستقبل منها

وحسابها, يقول: وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها. ما خَلَقَ اللّهُ ذلكَ إلا بالحَقّ يقول جلّ ثناؤه: لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحقّ, يقول الحقّ تعالى ذكره: خلقت ذلك كله بحقّ وحدي بغير عون ولا شريك. يُفَصّلُ الآيَاتِ يقول: يبين الحجج والأدلة لِقَوْم يَعْلَمُونَ إذا تدبروها, حقيقة وحدانية الله, وصحة ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الأنداد والبراءة من الأوثان.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ فِي اخْتِلاَفِ الّلّيْلِ وَالنّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كلّ ما دونه. إن في اعتقاب الليل والنهار واعتقاب النهار الليل. إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا, وفيما خلق الله في السماوات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء, لآيَاتٍ يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله, فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم.

فإن قال قائل: أو لا دلالة فيما خلق الله فِي السماوات والأرض على صانعه إلا لمن اتقى الله؟ قيل: في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكلّ من صحت فطرته, وبريء من العاهات قلبه, ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله, وإنما معناه: إن في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحقّ, لأن ذلك يدلّ كلّ ذي فطرة صحيحة على أن له مدبرا يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودة دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

الآية : 7-8

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدّنْيَا وَاطْمَأنّواْ بِهَا وَالّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة, فهم لذلك مكذّبون بالثواب والعقاب, متنافسون في زين الدنيا وزخارفها, راضون بها عوضا من الآخرة, مطمئنين إليها ساكنين. وَالّذِينَ هم عن آيات الله, وهي أدلته على وحدانيته, وحججه على عباده في إخلاص العبادة له غَافِلُونَ معرضون عنها لاهون, لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه, فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه, ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون. أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النّارُ يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرها إلى النار نار جهنم في الآخرة. بِمَا كَانُوا يَكْسِبونَ في الدنيا من الآثام والأجرام ويجترحون من السيئات. والعرب تقول: «فلان لا يرجو فلانا»: إذا كان لا يخافه. ومنه قول الله جلّ ثناؤه: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقارا. ومنه قول أبي ذؤيب:

إذَا لَسَعَتْهُ النّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهاوخالَفَها فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13682ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: واطْمَأنّوا بِها قال: هو مثل قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها نُوَفّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنّ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدّنْيا واطْمأنّوا بِها قال: هو مثل قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها نُوَفّ إلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

13683ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدّنْيا واطْمأنّوا بِها وَالّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ قال: إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح, ولها يحزن, ولها يسخط, ولها يرضى.

13684ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدّنْيا واطْمأنّوا بِها... الآية كلها, قال: هؤلاء أهل الكفر. ثم قال: أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النّارُ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ.

الآية : 9-10

القول في تأويل قوله تعالى:

{إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأنْهَارُ فِي جَنّاتِ النّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَتَحِيّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات, وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء إلى أمره.

يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمانِهِمْ يقول: يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة. كما:

13685ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأنهارُ فِي جَنّاتِ النّعِيمِ بلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ المُؤْمِنَ إذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ, فَيُقُولُ لَهُ: ما أنْتَ, فوَاللّهِ إنّي لأَرَاكَ امْرأ صِدْقٍ؟ فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ, فَيَكُون لَهُ نُورا وَقائِدا إلى الجَنّةِ. وأمّا الكافِرُ إذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ صُوّرَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةٍ سَيّئَةٍ وَبِشارَةٍ سَيّئَةٍ, فَيَقُولُ: ما أنْتَ فَواللّهِ إنّي لأَرَاكَ أمْرأ سَوْءٍ؟ فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ. فَيَنْطَلِقُ بِهِ حتى يُدْخِلَهُ النّارُ».

13686ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمانِهِمْ قال: يكون لهم نورا يمشون به.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال ابن جريج: يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمانِهِمْ قال: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة, يعارض صاحبه ويبشره بكل خير, فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة, فذلك قوله:

يَهْدِيهِمْ رَبّهُمْ بإيمانِهِمْ. والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة, فيلازم صاحبه ويُلادَّه حتى يقذفه في النار.

وقال آخرون: معنى ذلك: بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه, يقول: بتصديقهم هداهم. ذكر من قال ذلك:

وقوله: تَجْرِي مِنْ تَحْتَهِمُ الأنهارُ يقول: تجري من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم أنهار الجنة. في جَنّاتِ النّعِيمِ يقول: في بساتين النعيم الذي نعمّ الله به أهل طاعته والإيمان به.

فإن قال قائل: وكيف قيل تجري من تحتهم الأنهار, وإنما وصف جلّ ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجري تحت الجنات؟ وكيف يمكن الأنهار أن تجري من تحتهم إلا أن يكونوا فوق أرضها والأنهار تجري من تحت أرضها, وليس ذلك من صفة أنهار الجنة, لأن صفتها أنها تجري على وجه الأرض في غير أخاديد؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ, وإنما معنى ذلك: تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم, وذلك نظير قول الله: قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا ومعلوم أنه لم يجعل السريّ تحتها وهي عليه قاعدة, إذ كان السريّ هو الجدول, وإنما عني به جعل دونها: بين يديها, وكما قال جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون: أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي بمعنى: من دوني بين يدي.

وأما قوله: دَعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللّهُمّ فإن معناه: دعاؤهم فيها سبحانك اللهمّ. كما:

13687ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرت أن قوله: دعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَك اللّهُمّ قال: إذا مرّ بهم الطير فيشتهونه, قالوا: سبحانك اللهمّ وذلك دعواهم, فيأتيهم الملك بما اشتهوا, فيسلم عليهم, فيردّون عليه, فذلك قوله: وتَحِيّتُهُمْ فِيها سَلامٌ. قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم, فذلك قوله: وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ.

13688ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: دعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَك اللّهُمّ يقول: ذلك قولهم فيها وتَحِيّتُهُمْ فِيها سَلامٌ.

13689ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبيد الله الأشجعي, قال: سمعت سفيان يقول: دعْوَاهُمْ فِيها سُبْحانَك اللّهُمّ وتَحِيّتُهُمْ فِيها سَلامٌ قال: إذا أرادوا الشيء قالوا: اللهمّ فيأتيهم ما دعوا به.

وأما قوله: سُبْحانَكَ اللّهُمّ فإن معناه: تنزيها لك يا ربّ مما أضاف إليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13690ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت أبي, عن غير واحد عطية فيهم: سبحان الله تنزيه لله.

13691ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن عثمان بن عبد الله بن موهب, قال: سمعت موسى بن طلحة, قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله, قال: «إبْرَاءُ اللّهِ عَنِ السّوءِ».

13692ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم, قالوا: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا قابوس, عن أبيه: أن ابن الكوّاء سأل عليّا رضي الله عنه عن «سبحان الله» قال: كلمة رضيها الله لنفسه.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن سفيان بن سعيد الثوري عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحي, عن موسى بن طلحة, قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن سبحان الله, فقال: «تَنْزِيها لِلّهِ عَنِ السّوءِ».

13693ـ حدثني عليّ بن عيسى البزار, قال: حدثنا عبيد الله بن محمد, قال: حدثنا عبد الرحمن بن حماد, قال: ثني حفص بن سليمان, قال: حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة, عن أبيه, عن طلحة بن عبيد الله, قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله, فقال: «هُوَ تَنْزِيهُ اللّهِ مِنْ كُلّ سُوءٍ».

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي, قال: حدثنا سليمان بن أيوب, قال: ثني أبي, عن جدي, عن موسى بن طلحة, عن أبيه, قال: قلت: يا رسول الله قول سبحان الله؟ قال: «تَنْزِيهُ اللّهِ عَنِ السّوءِ».

وتَحِيّتُهُمْ يقول: وتحية بعضهم بعضا فِيها سَلامٌ: أي سلمت وأمنت مما ابتلي به أهل النار. والعرب تسمى الملك التحية ومنه قول عمرو بن معديكرّب:

أزُورُ بها أبا قابُوسَ حتىأنِيخَ عَلى تَحِيّتِهِ بِجُنْدِي

ومنه قول زهير بن جناب الكلبي:

مِنْ كُلّ ما نالَ الفَتَىقَدْ نِلْتُهُ إلاّ التّحِيّهْ

وقوله: وآخِرُ دَعْوَاهُمْ يقول: وآخر دعائهم أن الحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ يقول: وآخر دعائهم أن يقولوا: الحمد لله ربّ العالمين ولذلك خففت «أن» ولم تشدّد, لأنه أريد بها الحكاية.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ لِلنّاسِ الشّرّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاسِ أجابة دعائهم في الشّرّ, وذلك فيما عليهم مضرّة في نفس أو مال اسْتِعْجالَهُمْ بالخَيْرِ يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به. لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ يقول: لهلكوا وعجل لهم الموت, وهو الأجل. وعني بقوله: لَقُضِيَ لفرغ إليهم من أجلهم وتبدّى لهم, كما قال أبو ذؤيب:

وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضَاهمادَاودُ أوْ صَنَعُ السّوَابِغِ تُبّعُ

فَنَذَرُ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا يقول: فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور, فِي طُغْيانِهِمْ يقول: في تمرّدهم وعتوّهم, يَعْمَهُونَ يعني يتردّدون. وإنما أخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم في الشرّ لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرّب إلى الوثن الذي يشرك به أحدهم, أو يضيف ذلك إلى أنه من فعله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13694ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاس الشّرّ اسْتِعْجَالهُمْ بالخَيْرِ قال: قول الإنسان إذا غضب لولده وماله: لا بارك الله فيه ولعنه

13695ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاسِ الشّرّ اسْتِعْجَالهُمْ بالخَيْرِ قال: قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهمّ لا تبارك فيه والعنه فلو يعجل الله الاستجابة لهم في ذلك كما يستجاب في الخير لأهلكهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاسِ الشّرّ اسْتِعْجَالهُمْ بالخَيْرِ قال: قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهمّ لا تبارك فيه والعنه: لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاسِ الشّرّ اسْتِعْجَالهُمْ بالخَيْرِ قال: قول الرجل لولده إذا غضب عليه أو ماله: اللهمّ لا تبارك فيه والعنه قال الله: لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. قال: فَنَذَرُ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا قال: يقول: لا نهلك أهل الشرك, ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون.

13696ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: وَلَوْ يُعَجّلُ اللّهُ للنّاسِ الشّرّ اسْتِعْجَالهُمْ بالخَيْرِ قال: هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.

13697ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ قال: لأهلكناهم, وقرأ: ما تَرَكَ على ظَهْرِها مِنْ دَابّةٍ قال: يهلكهم كلهم.

ونصب قوله اسْتِعْجالَهُمْ بوقوع يعجل عليه, كقول القائل: قمت اليوم قيامك, بمعنى قمت كقيامك, وليس بمصدر من يعجل, لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف, أعني كاف التشبيه فيه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والعراق: لَقُضِيَ إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ على وجه ما لم يسمّ فاعله بضم القاف من «قُضي» ورفع «الأجل». وقرأ عامة أهل الشأم: «لَقَضَي إلَيْهِمْ أجَلُهُمْ» بمعنى: لقضى الله إليهم أجلهم. وهما قراءتان متفقتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن أقرؤه على وجه ما لم يسمّ فاعله, لأن عليه أكثر القرّاء.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإذَا مَسّ الإنسَانَ الضّرّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرّهُ مَرّ كَأَن لّمْ يَدْعُنَآ إِلَىَ ضُرّ مّسّهُ كَذَلِكَ زُيّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الإنسان الشدّة والجهد دَعانا لِجَنْبِهِ يقول: استغاث بنا في كشف ذلك عنه, لجنبه: يعني مضطجعا لجنبه. أوْ قاعِدا أوْ قائما الحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به. فَلَمّا كَشَفْنا عَنْه ضُرّهُ يقول: فلما فرّجنا عنه الجهد الذي أصابه, مرّ كأنْ لَمْ يَدعُنَا إلى ضُرّ مَسّهُ يقول: استمرّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضرّ, ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء, أو تناساه, وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به, وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه. يقول تعالى ذكره: كذلكَ زُيّنَ للْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: كما زين لهذا الإنسان الذي وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله

عنه ما كان فيه من الضرّ, كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله وعلى أنبيائه, فتجاوزوا في القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به, ما كانوا يعملون من معاصي الله والشرك به.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13698ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: دَعانا لِجَنْبِهِ قال: مضطجعا.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ }.
يقول تعالى ذكره: ولقد أهلكنا الأمم التي كذّبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظَلَمُوا يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه.
وجاءَتْهُمْ رُسُلُهمْ من عند الله, بالبَيّناتِ وهي الآيات والحجج التي تبين عن صدق من جاء بها. ومعنى الكلام: وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حقّ.
وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا يقول: فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له. كذلكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ يقول تعالى ذكره: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظَلمهم أنفسهم وتكذيبهم رسلهم وردّهم نصيحتهم, كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم, وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم, إن أنتم لم تنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم, فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي أن أهلكه بسخطي في الدنيا وأورده النار في الآخرة.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ثُمّ جَعَلْناكُمْ أيها الناس خَلائِفَ من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم فِي الأرْضِ وتكونون فيها بعدهم. لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم, تحذون مثالهم فيه, فتستحقون من العقاب ما استحقوا, أم تخالفون سبيلهم, فتؤمنون بالله ورسوله, وتقرّون بالبعث بعد الممات, فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل. كما:
13699ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ ذكر لنا أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: صدق ربنا ما جعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا, فأروا الله من أعمالكم خيرا, بالليل والنهار والسرّ والعلانية.
13700ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة بهذا, قال: حدثنا حماد, عن ثابت البناني, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى, أن عوف بن مالك رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه: رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دُلي من السماء فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم دلي فانتشط أبو بكر, ثم ذرع الناس حول المنبر, ففضل عمر رضي الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر فقال عمر: دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال: يا عوف رؤياك؟ قال: وهل لك في رؤياي من حاجة, أو

لم تنتهرني؟ قال: ويحك إني كرهت أن تنعي لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقصّ عليه الرؤيا, حتى إذا بلغ ذرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع, قال: أما إحداهنّ فإنه كائن خليفة, وأما الثانية فإنه لا يخاف في الله لومة لائم, وأما الثالثة فإنه شهيد. قال: فقال يقول الله: ثُمّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الأرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلونَ فقد استخلفت يا ابن أم عمر, فانظر كيف تعمل وأما قوله: «فإنّي لا أخافُ في الله لَوْمَة لائمٍ» فما شاء الله, وأما قوله: «فانّي شَهِيدٌ» فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ثم قال «إنّ اللّهَ على ما يَشاءُ قَدِيرٌ».

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ قَالَ الّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـَذَآ أَوْ بَدّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِيَ إِنْ أَتّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَىَ إِلَيّ إِنّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا قرىء على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات واضحات على الحقّ دالات. قالَ الّذِينَ لا يَرْجَوْنَ لِقاءَنَا يقول: قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد إلينا ولا يصدّقون بالبعث لك: ائْتِ بقُرآنٍ غيرِ هَذَا أوْ بَدّلْهُ بقول: أو غيره. قُلْ لهم يا محمد: ما يَكُونُ لي أنْ أبَدّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي أي من عندي.

والتبديل الذي سألوه فيما ذُكر, أن يحوّل آية الوعيد آية وعد وآية الوعد وعيدا والحرام حلالاً والحلال حراما, فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه, وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه ولا يتعقب قضاؤه, وإنما هو رسول مبلغ ومأمور متبع.

وقوله: إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إليّ يقول: قل لهم: ما أتبع في كلّ ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه إلا ما ينزله إليّ ربي ويأمرني به. إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم يقول إني أخشى من الله إن خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدّلت وحيه فعصيته بذلك, عذابَ يومٍ عظيمٍ هَوْلُهُ, وذلك يَوْمَ تَذْهَلُ كُلّ مُرْضِعَة عَمّا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النّاسَ سُكَارَى ومَا هُمْ بِسُكارَى.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّوْ شَآءَ اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه معرّفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدّله: قل لهم يا محمد لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ أي ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بأن كان لا ينزل عليّ فيأمرني بتلاوته عليكم, وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ يقول: ولا أعلمكم به, فَقَدْ لَبِثْتُ فيكُمْ عُمُرا مِنْ قَبْلِهِ يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم ومن قبل أن يوحيه إليّ ربي, أفَلا تَعْقِلُونَ أني لو كنت منتحلاً ما ليس لي من القول كنت قد انتحلته في أيام شبابي وحداثتي وقبل الوقت الذي تلوته عليكم؟ فقد كان لي اليوم لو لم يوح إليّ وأومر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع في الحال التي كنت بها منكم قبل أن يوحى إليّ وأومر بتلاوته عليكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13701ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا أدرَاكُمْ بِهِ: ولا أعلمكم.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ولَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ يقول: لو شاء الله لم يعلمكموه.
13702ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ يقول: ما حذّرتكم به.
13703ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آياتُنا بَيّناتٍ قالَ الّذِين لا يَرْجُونَ لِقَاءَنا ائْتِ بقُرآنٍ غيرِ هَذَا أوْ بَدّلْه, وهو قول مشركي أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم, ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرا مِنْ قَبْلِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ لبث أربعين سنة.
13704ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: قُلْ لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ ولا أعلمكم به.
13705ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن, أنه كان يقرأ: «وَلا أدْرَأتُكُمْ بِهِ» يقول: ما أعلمتكم به.
13706ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا أدْارَاكُمْ بِهِ يقول: ولا أشعركم الله به.
وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط, وكان الفراء يقول في ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال: «ولا أدْرأتكم به», قال: فإن يكن فيها لغة سوى «دريت» و «أدريت», فلعلّ الحسن ذهب إليها, وأما أن يصلح من «دريت» أو «أدريت» فلا, لأن الياء والوا إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا إلى ألف مثل قضيت ودعوت, ولعلّ الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها, لأنها تضارع «درأت الحدّ» وشبهه. وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز, فيهمزون غير المهموز. وسمعت امرأة من طيّ تقول: رثأت زوجي بأبيات, ويقولون: لبأت بالحجّ وحلأت السويق يتغلطون, لأن «حلأت» قد يقال في دفع العطاش من الإبل, و «لبأت»: ذهبت به إلى اللبأ, لبأ الشاة, و«رثأت زوجي»: ذهبت به إلى رثأت اللبن إذا أنت حلبت الحليب على الرائب, فتلك الرثيئة. وكان بعض البصريين يقول: لا وجه لقراءة الحسن هذه لأنها من «أدريت» مثل «أعطيت», إلا أن لغة بني عقيل «أعطأت» يريدون «أعطيت», تحوّل الياء ألفا, قال الشاعر:
لَقَدْ آذَنَتْ أهْلَ اليَمامَةِ طَيىّءٌبحَرْبٍ كتَاصَاةَ الأغَرّ المُشَهّرِ
يريد كناصية حكي ذلك عن المفضل. وقال زيد الخيل:
لَعَمْرُكَ ما أخْشَى التّصَعْلُكَ ما بَقَاعلى الأرْضِ قَيْسيّ يَسُوقُ الأباعِرا
فقال «بقا». وقال الشاعر:
لَزَجَرْتُ قلبا لا يَرِيعُ لِزَاجِرٍإنّ الغَوِيّ إذا نُهَا لَمْ يُعْتِب
يريد «نُهي». قال: وهذا كله على قراءة الحسن, وهي مرغوب عنها, قال: وطيّىء تصير كل ياء انكسر ما قبلها ألفا, يقولون: هذه جاراة, وفي الترقوة: ترقاة, والعرقوة: عرقاة, قال: وقال بعض طيىء: قد لقت فزارة,

حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحوّلها ألفا لسكون التاء فيلتقي ساكنان. وقال: زعم يونس أن نسا ورضا لغة معروفة, قال الشاعر:

()وأبْيَتْ بالأعْراضِ ذا البَطْنِ خالِدا
نَسا أوْ تَناسَى أن يَعُدّ المَوَاليَا()

ورُوى عن ابن عباس في قراءة ذلك أيضا رواية أخرى, وهي ما:

13707ـ حدثنا به المثنى, قال: حدثنا المعلى بن أسد, قال: حدثنا خالد بن حنظلة, عن شهر بن حوشب, عن ان عباس أنه كان يقرأ: «قُلْ لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَتْكُمْ بِهِ».

والقراءة التي لا أستجيز أن تعدوها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار: لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بِهِ بمعنى: ولا أعلمكم به, ولا أشعركم به.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذّبَ بِآيَاتِهِ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب: أي خلق أشر بعدنا وأوضع لقيله في غير موضعه, ممن اختلف على الله كذبا وافترى عليه باطلاً أوْ كَذّبَ بآياتِهِ يعني بحججه ورسله وآيات كتابه. يقول له جلّ ثناؤه: قل لهم ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه وتكذيبكم بآياته. إنّهُ لا يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ يقول: إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة إذا لقوا ربهم, ولا ينالون الفلاح.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـَؤُلآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّا يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذي لا يضرّهم شيئا ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة, وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها.وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله, قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ لَهُمْ أتُنَبّئُونَ اللّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السّمَوَاتِ وَلا في الأرْضِ يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السماوات ولا في الأرض. وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله, فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: أتخبرون الله أن ما لايشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما, وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته, بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضرّ. سُبْحانَهُ وَتَعَالى عَمّا يُشْرِكُونَ يقول: تنزيها لله وعلوّا عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ النّاسُ إِلاّ أُمّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رّبّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة, فاختلفوا في دينهم, فافترقت بهم السبل في ذلك. وَلوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ يقول: ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم, لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ يقول: لقضي بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم وينجي أهل الحقّ.

وقد بيّنا اختلاف المختلفين في معنى ذلك في سورة البقرة, وذلك في قوله: كانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النّبَيّينَ وبيّنا الصواب من القول فيه بشواهده فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

13708ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَما كانَ النّاسُ إلاّ أُمّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا حين قتل أحد ابني آدم أخاه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مّن رّبّهِ فَقُلْ إِنّمَا الْغَيْبُ للّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنّي مَعَكُمْ مّنَ الْمُنتَظِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون: هلا أنزل على محمد آية من ربه يقول: علم ودليل نعلم به أن محمدا محقّ فيما يقول. قال الله له: فقل يا محمد إنما الغيب لله, أي لا يعلم أحد بفعل ذلك إلا هو جلّ ثناؤه, لأنه لا يعلم الغيب وهو السرّ والخفيّ من الأمور إلا الله, فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا وإظهاره المحقّ عليه, إني معكم ممن ينتظر ذلك. ففعل ذلك جلّ ثناؤه فقضى بينهم وبينه بأن قتلهم يوم بدر بالسيف.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أَذَقْنَا النّاسَ رَحْمَةً مّن بَعْدِ ضَرّآءَ مَسّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مّكْرٌ فِيَ آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ورخاء بعد شدّة أصابتهم. وقيل: عنى به المطر بعد القحط, والضرّاء: وهي الشدة, والرحمة: هي الفرج. يقول: إذَا لَهُمْ مَكْرٌ في إياتِنا استهزاء وتكذيب. كما:

13709ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا قال: استهزاء وتكذيب.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: قُلِ اللّهِ أسْرَعُ مَكْرا يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا يا محمد: الله أسرع مكرا, أي أسرع مِحَالاً بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم من المكر في آيات الله. والعرب تكتفي ب «إذا» من «فعلت» و «فعلوا», فلذلك حف الفعل معها. وإنما معنى

الكلام: وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضرّاء مستهم مكروا في آياتنا, فاكتفى من «مكروا», ب «إذا لهم مكر». إنّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ يقول: إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي يُسَيّرُكُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ حَتّىَ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلّ مَكَانٍ وَظَنّوَاْ أَنّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـَذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: الله الذي يسيركم أيها الناس في البرّ على الظهر وفي البحر في الفلك حتى إذَا كُنْتُمْ في الفُلْك وهي السفن, وَجَرَيْنَ بِهِمْ يعني: وجرت الفلك بالناس, بِرِيحٍ طَيّبَةٍ في البحر, وَفَرِحُوا بِها يعني: وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها. والهاء في قوله: «بها» عائدة على الريح الطيبة. جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ يقول: جاءت الفلك ريح عاصف, وهي الشديدة, والعرب تقول: ريح عاصف وعاصفة, وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت في بني أسد فيما ذكر, قال بعض بني دُبَيْر:

حتى إذا أعْصَفَتْ رَيْحٌ مُزَعْزِعَةٌفِيها قِطارٌ ورَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِلُ

وَجاءَهُمْ المَوْجُ مِنْ كُلّ مَكانٍ يقول تعالى ذكره: وجاء ركبان السفينة الموج من كلّ مكان. وَظَنّوا أنّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ يقول: وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق. دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ يقول: أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم, وكان مفزعهم حينئذ إلى الله دونها. كما:

13710ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ قال: إذا مسّهم الضرّ في البحر أخلصوا له الدعاء.

13711ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن الأعمش, عن عمرو بن مرة, عن أبي عبيدة, في قوله: مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ هياشراهيا, تفسيره: يا حيّ يا قوم.

13712ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذَا أَذَقْنَا النّاسَ رَحْمَةً مِنَ ضَرّاءَ مَسّتْهُمْ... إلى آخر الآية, قال: هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون, فإذا كان الضرّ لم يدعو إلا الله, فإذا نجاهم إذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدّة التي نحن فيها لنكوننّ من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك إيانا مما نحن فيه بإخلاصنا العبادة لك وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: هُوَ الّذِي يُسَيّرُكُمْ فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: هُوَ الّذِي يُسَيّرُكُمْ من السير بالسين. وقرأ ذلك أبو جعفر القاري: «هُو الّذِي يَنْشُرُكُمْ» من النشر, وذلك البسط من قول القائل: نشرت الثوب, وذلك بسطه ونشره من طيه. فوجه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عبادهُ, فيبسطهم برّا وبحرا, وهو قريب المعنى من التسيير. وقال: وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيّبَةٍ وقال في موضع آخر: في الفُلْكِ المَشْحُونِ فوحّد, والفلك: اسم للواحدة والجماع ويذكر ويؤنث. قال: وَجَرَيْنَ بِهِمْ وقد قال: هُوَ الّذِي يُسَيّرُكُمْ فخاطب ثم عاد إلى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وجواب

قوله: حتى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ: وجاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ. وأما جواب قوله: وَظَنّوا أَنّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ فدَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّآ أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ يَأَيّهَا النّاسُ إِنّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ مّتَاعَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا ثُمّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا في البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذي كانوا فيه, أخلفوا الله ما وعدوه, وبغوا في الأرض, فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به والعمل بمعاصيه على ظهرها. يقول الله: يا أيها الناس إنما اعتداؤكم الذي تعتدونه على أنفسكم وإياها تظلمون, وهذا الذي أنتم فيه مَتَاعَ الحَيَاةِ الدّنْيَا يقول: ذلك بلاغ تبلغون به في عاجل دنياكم. وعلى هذا التأويل, البغي يكون مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله: عَلى أنْفُسِكُمْ ويكون قوله: «مَتَاعُ الحَياةِ الدّنْيَا» مرفوعا على معنى: ذلك متاع الحياة الدنيا, كما قال: لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ ساعَةً مِن نَهار بلاغٌ بمعنى: هذا بلاغ, وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: إنما بغيكم في الحياة الدنيا على أنفسكم, لأنكم بكفركم تكسبونها غضب الله, متاع الحياة الدنيا, كأنه قال: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا, فيكون «البغي» مرفوعا بالمتاع, و «على أنفسكم» من صلة «البغي». وبرفع «المتاع» قرأت القّراء سوى عبد الله بن أبي إسحاق فإنه نصبه بمعنى: إنما بغيكم على أنفسكم متاعا في الحياة الدنيا, فجعل, «البغي» مرفوعا بقوله: على أنفُسِكُمْ والمتاع منصوبا على الحال. وقوله: ثُمّ إلَيْنا مَرْجِعُكُمْ يقول: ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم, وذلك بعد الممات. فَنُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله, ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَالأنْعَامُ حَتّىَ إِذَآ أَخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَهَا وَازّيّنَتْ وَظَنّ أَهْلُهَآ أَنّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لّمْ تَغْنَ بِالأمْسِ كَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت, كَمثَلِ ماءٍ أنْزَلْنَاهُ مِنَ السّماءِ يقول: كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض, فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرْضِ يقول: فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض. كما:

13713ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخُراساني, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا مَثَلُ الحَياةِ الدّنْيَا كمَاء أنْزَلْنَاهُ مِنَ السّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرْضِ قال: اختلط فنبت بالماء كل لون مِمّا يأكُلُ النّاسُ كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار, وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي.

وقوله: حتى إذَا أخَذَت الأرْضُ زُخْرُفَها يعني: ظهر حسنها وبهاؤها. وَازّيّنَتْ يقول: وتزينت. وَظَنّ أهْلُها يعني: أهل الأرض, أنّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا يعني: على ما أنبتت. وخرج الخبر عن الأرض, والمعنى للنبات, إذا كان مفهوما

بالخطاب ما عنى به. وقوله: أتاها أمْرُنا لَيْلاً أوْ نَهارا يقول: جاء الأرض أمرنا يعني قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلاً وإما نهارا. فَجَعَلْناها يقول: فجعلنا ما عليها, حَصِيدا يعني مقطوعة مقلوعة من أصولها, وإنما هي محصودة صرفت إلى حصيد, كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ يقول: كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابته قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس, وأصله: من غني فلان بمكان كذا, يَغْنَى به: إذا أقام به, كما قال النابغة الذبياني:

غَنِيَتْ بذلكَ إذْ هُمُ لي جِيرَةمِنْها بعَطْف رِسالَةٍ وَتَوَدّدِ

يقول: فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها, فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها. يقول الله جلّ ثناؤها: كَذلكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ يقول: كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا وعرّفناكم حكمها وأمرها, كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر. وخصّ به أهل الفكر, لأنهم أهل التمييز بين الأمور والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في الصدور.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13714ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: حتى إذَا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها... الآية: أي والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها لتوشكن الدنيا أن تلفظه وتقضى منه.

13715ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَازّيّنَتْ قال: أنبتت وحسنت.

13716ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام, قال: سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية: حتى إذَا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرَفَها وَازّيّنَتْ وَظَنّ أهْلُها أنّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها. قال: قد قرأتها, وليست في المصحف, فقال عباس بن عبد الله بن العباس: هكذا يقرؤها ابن عباس. فأرسلوا إلى ابن عباس فقال: هكذا أقرأني أبيّ بن كعب.

13717ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ يقول: كأن لم تَعِشْ, كأن لم تنعم.

13718ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: أبو أسامة, عن إسماعيل, قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول: في قراءة أبيّ: كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها. كذلكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَازّيّنَتْ فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق: وَازّيّنَتْ بمعنى: وتزينت, ولكنهم أدغموا التاء في الزاي لتقارب مخرجيهما, وأدخلوا ألفا ليوصل إلى قراءته, إذا كانت التاء قد سكنت والساكن لا يبتدأ به. وحُكى عن أبي العالية وأبي رجاء والأعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرءوا ذلك: «وأزْيَنَتْ» على مثال أفْعَلَتْ.

والصواب من القراءة في ذلك: وَازّيَنَتْ لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَىَ دَارِ السّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها, فإن مصيرها إلى فناء وزوال كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وبوار, ولكن اطلبوا الآخرة الباقية, ولها فاعملوا, وما عند الله فالتمسوا بطاعته, فإن الله يدعوكم إلى داره, وهي جنّاته التي أعدّها لأوليائه, تسلموا من الهموم والأحزان فيها وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها, وهو يَهْدى من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم, وهو الإسلام الذي جعله جلّ ثناؤه سببا للوصول إلى رضاه وطريقا لمن ركبه وسلك فيه إلى جنانه وكرامته. كما:

13719ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: الله السلام, وداره الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَاللّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السّلامِ قال: الله هو السلام, وداره الجنة.

13720ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن أبي قلابة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «قيلَ لي: لِتَنمْ عَيْنُكَ, وَلْيَعْقَلْ قَلْبُكَ, وَلْتَسْمَعْ أذُنُكَ فَنامَتْ عَيْنِي, وَعَقَلَ قَلْبِي, وَسَمَعَتْ أذُنِي. ثُمّ قِيلَ: سَيّدٌ بَنِي دَارا, ثمّ صَنَعَ مَأدُبَةً, ثُمّ أرْسَلَ دَاعِيا, فَمَنْ أجابَ الدّاعِيَ دَخَلَ الدّارَ وأكَلَ مِنَ المَأدُبَة وَرَضيَ عَنْهُ السّيّدُ, وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدّارَ ولَمْ يَأكُلْ مِنَ المَأدُبَةِ ولَمْ يَرْضَ عَنْهُ السّيّدُ, فالله السّيّدُ, والدّارُ الإسلامُ والمَأدُبَةُ الجَنّةُ, والدّاعِي مُحَمّدٌ صلى الله عليه وسلم».

13721ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: واللّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السّلامِ ويَهْدِي مَنْ يشَاءُ إلى صِراط مُسْتَقِيم ذُكر لنا أن في التوراة مكتوباً: يا باغيَ الخير هلمّ ويا باغي الشرّ انته

13722ـ حدثني الحسين بن سلمة بن أبي كبشة, قال: حدثنا عبد الملك بن عمرو, قال: حدثنا عباد بن راشد, عن قتادة, قال: ثني خليد العصري, عن أبي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ فيهِ شَمْسُهُ إلاّ وبِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ, يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللّهِ كُلّهُمْ إلاّ الثّقَلَيْنِ: يا أيها النّاسُ هَلُمّوا إلى رَبّكُمْ, إنّ ما قَلّ وكَفَى خَيْرٌ مِمّا كَثُرَ وألْهَى». قال: وأنزل ذلك في القرآن في قوله: واللّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السّلامِ ويَهْدي مَنْ يَشاءُ إلى صِراط مُسْتَقِيم.

13723ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ليث بن سعد, عن خالد بن يزيد, عن سعيد بن أبي هلال, عن جابر بن عبد الله, قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: «إنّي رأيْتُ فِي المنَام كأنّ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ رأسِي وَمِيكائِيلَ عِنْدَ رِجْلَيّ, يَقُولُ أحَدُهُما لِصَاحِبِه: اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً فقال: اسْمَعْ سَمِعَتْ أذُنُكَ, وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ, إنّما مَثَلُكَ وَمَثَلُ أمّتِكَ كمَثَلِ مَلِكٍ اتّخَذَ دَارا ثُمّ بَنى فِيها بَيْتا ثُمّ جَعَلَ فِيها مَأدُبَةً ثُمّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النّاسَ إلَى طَعامِهِ, فَمِنُهُمْ مَنْ أجابَ الرّسُولَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ فاللّهُ المَلِكُ, والدّارُ الإسْلامُ, والبَيْتُ الجَنّةُ, وأنتَ يا مُحَمّدُ الرّسُولُ مِنْ

أجابَكَ دَخَلَ الإسْلامَ, وَمَنْ دَخَلَ الإسْلاَمَ دَخَلَ الجَنّةَ, وَمَنْ دَخَلَ الجَنّةَ أكَلَ مِنْهَا».

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {لّلّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىَ وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلّةٌ أُوْلَـَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونَهَى الحُسْنَى.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه, فقال بعضهم: الحسنى: هي الجنة, جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء, والزيادة عليها النظر إلى الله تعالى. ذكر من قال ذلك:

13724ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عامر بن سعد, عن أبي بكر الصدّيق: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه ربهم.

حدثنا سفيان, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن قيس, عن أبي إسحاق, عن عامر بن سعد, عن سعيد بن نمران, عن أبي بكر: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه الله تعالى.

13725ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن عامر بن سعد: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه ربهم.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن عامر بن سعد, قال: في هذه الآية: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن.

13726ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مسلم بن نذير, عن حذيفة: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه ربهم.

13727ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا شريك, قال: سمعت أبا إسحاق يقول في قول الله: وَزِيادة قال: النظر إلى وجه الرحمن.

13728ـ حدثني عليّ بن عيسى, قال: حدثنا شبابة, قال: حدثنا أبو بكر الهذليّ, قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدّث عن أبي موسى الأشعري, قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينطرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة, فيقول: نعم, فيقول: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ النظر إلى وجه الرحمن.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن أبي بكر الهذلي, قال: أخبرنا أبو تميمة الهجيمي, قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة, فيقول: يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامة, فيرون الحليّ والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة, فيقولون: نعم, قد أنجزنا الله ما وعدنا. ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ ثلاث مرّات, فلا يفقدون شيئا مما وعدوا, فيقولون: نعم, فيقول: قد بقي لكم شيء, إن الله يقول: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ ألا إن الحسنى الجنة, والزيادة: النظر إلى وجه الله.

13729ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني شبيب, عن أبان, عن أبي تميمة الهجيمي: أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله يَبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ مُنادِيا يُنادِي أَهْلَ الجَنّة بصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوّلَهُمْ وآخِرَهُمْ: إنّ اللّهَ وَعَدَكُمُ الحُسْنَى وَزِيادَةٌ, فالحُسْنَى الجَنّةُ, والزّيادَةُ النّظَرُ إلى وَجْهِ الرّحْمَنِ».

13730ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن ثابت البناني, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه ربهم. وقرأ: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلّةٌ قال: بعد النظر إلى وجه ربهم.

13731ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سليمان بن المُغيرة, قال: أخبرنا ثابت, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى, قوله: وَزِيادَةٌ قال: قيل له: أرأيت قوله: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ؟ قال: إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة فأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال: نودوا يا أهل الجنة إن الله قد وعدكم الزيادة, فيتجلى لهم. قال ابن أبي ليلى: فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم, وحين صارت الصحف في أيمانهم, وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة, وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم؟ كل ذلك لم يكن شيئا فيما رأوا.

قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر وسليمان بن المُغيرة, عن ثابت البناني, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه ربهم.

13732ـ قال: حدثنا الحجاج ومعلى بن أسد, قالا: حدثنا حماد بن زيد, عن ثابت, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة, قال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تُعْطَوْه. قال: فيتجلّى لهم تبارك وتعالى. قال: فيصغر عندهم كلّ شيء أعْطُوه. قال: ثم قال: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: الحسنى: الجنة, والزيادة,: النظر إلى وجه ربهم, ولا يَرهَق وجوههم قَتر ولا ذلة بعد ذلك.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ثابت البناني, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ النظر إلى وجه الله.

13733ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قول الله: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ النظر إلى الربّ.

13734ـ حدثنا عمرو بن عليّ وحمد بن بشار, قالا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ وأَهْلُ النّارِ النّارَ, نُودُوا: يا أَهْلَ الجَنّةِ, إنّ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ مَوْعِدا قالُوا: ما هُوَ؟ أَلَمْ تُبَيّضْ وُجُوهَنا, وَتُثَقّلْ مَوَازِينَنا, وَتُدْخِلُنا الجَنّةَ, وَتُنَجّنا مِنَ النّارِ؟ فَيُكْشَفُ الحِجَابُ, فَيَتَجَلّى لَهُمْ فوَاللّهِ ما أَعْطاهُمْ شَيْئا أَحَبّ إلَيْهِمْ منَ النّظَرِ إلَيْهِ» ولفظ الحديث لعمرو.

13735ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن ثابت, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن صهيب, قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قالَ: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ وأَهْلُ النّارِ النّارَ, نادَى مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنّةِ, إنّ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ مَوْعِدا يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكُموهُ فَيَقُولُونَ: ومَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقّلِ اللّهُ مَوَازِينَنا,

وَيُبَيّضْ وُجوهَنا؟» ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن عليّ وابن بشار, عن عبد الرحمن.
قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن نمران, عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.
قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق, عن عامر بن سعد, مثله.
13736ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد: إن الله وعدكم الحسنى وهي الجنة وأما الزيادة: فالنظر إلى وجه الرحمن.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.
13737ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا إبراهيم بن المختار, عن ابن جريج, عن عطاء, عن كعب بن عجرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله: تعالى: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: «الزّيَادَةُ: النّظَرُ إلى وَجْهِ الرحمن تَبَارك وتَعَالَى».
13738ـ قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن عبد الرحمن بن سابط, قال: الحسنى: النضرة, والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى.
13739ـ حدثنا ابن البرقى, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية, قال: حدثنا أبيّ بن كعب: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: «الحُسْنَى: الجَنّةُ والزّيادَةُ: النّظَرُ إلى وَجْهِ الله».
وقال آخرون في الزيادة بما:
13740ـ حدثنا به يحيى بن طلحة, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن الحكم, عن عليّ رضي الله عنه: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن الحكم, عن علي رضي الله عنه, نحوه, إلا أنه قال: فيها أربعة أبواب.
قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الحكم بن عتيبة, عن عليّ رضي الله عنه, مثل حديث يحيى بن طلحة, عن فضيل سواء.
وقال آخرون: الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة, والزيادة: التضعيف إلى تمام العشر. ذكر من قال ذلك:
13741ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: هو مثل قوله: وَلَدَيْنا مَزِيدٌ يقول: يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله. وقال: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُون.
13742ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن قابوس, عن أبيه, عن علقمة بن قيس: لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: قلت: هذه الحسنى, فما الزيادة؟ قال: ألم تر أن الله يقول: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا
13743ـ حدثنا بشر, قال: يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان

الحسن يقول في هذه الآية: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: الزيادة: بالحسنة عشر أمثالها, إلى سبعمائة ضعف.
وقال آخرون: الحسنى: حسنة مثل حسنة, والزيادة: زيادة مغفرة من الله ورضوان. ذكر من قال ذلك:
13744ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان.
وقال آخرون: الزيادة ما أعطوا في الدنيا. ذكر من قال ذلك:
13745ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ قال: الحسنى: الجنة, وزيادة: ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة. وقرأ وآتَيْنَاهُ أجْرَهُ في الدّنْيا قال: ما آتاه مما يحبّ في الدنيا عجّل له أجره فيها.
وكان ابن عباس يقول في قوله: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى بما:
13746ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى يقول: للذين شهدوا أن لا إله إلا الله.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة وأن تبيض وجوههم, ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها, ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه, وأن يعطيهم غرفا من لآلىء, وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كلّ ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. وعمّ ربنا جلّ ثناؤه بقوله: وَزِيادَةٌ الزيادات على الحسنى, فلم يخصص منها شيئا دون شيء, وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم, بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله. فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يعمّ كما عمه عزّ ذكره.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلّةٌ أُولئكَ أصحَابُ الجَنّةِ هُمْ فِيها خالدُونَ.
يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلّةٌ لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر. والقتر: الغبار وهو جمع قترة, ومنه قول الشاعر:
مُتَوّجٌ برداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُمَوْجٌ تَرى فَوْقَهُ الرّاياتِ والقَتْرا
يعني بالقتر: الغبار. وَلا ذِلّةٌ. ولا هوان. أولَئِكَ أصْحَابُ الجَنّةِ يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هُمْ فيها خَالِدُون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا تبيد فيخافوا زوال نعيمهم, ولا هم بمخرجين فتتنغص عليهم لذتهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.
وكان ابن أبي ليلى يقول في قوله: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ما:
13747ـ حدثنا محمد بن منصور الطوسى, قال: حدثنا عفان, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: حدثنا زيد, عن ثابت, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلّةٌ قال: بعد نظرهم إلى ربهم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج ومعلى بن أسد, قالا: حدثنا حماد بن زيد, عن ثابت, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى, بنحوه.

13748ـ حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ قال: سواد الوجوه.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَسَبُواْ السّيّئَاتِ جَزَآءُ سَيّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ مّا لَهُمْ مّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مّنَ اللّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيَهَا خَالِدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: والذين عملوا السيئات في الدنيا, فعصوا الله فيها, وكفروا به وبرسوله, جزاء سيئة من عمله السيء الذي عمله في الدنيا بمثلها من عقاب الله في الآخرة. وَتَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ يقول: وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله إياهم. ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ يقول: ما لهم من الله من مانع يمنعهم إذا عاقبهم يحول بينه وبينهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13749ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَتَرْهَقُهُمْ ذِلّةٌ قال: تغشاهم ذلة وشدّة.

واختلف أهل العربية في الرافع للجزاء, فقال بعض نحويي الكوفة: رفع بإضمار «لهم», كأنه قيل: ولهم جزاء السيئة بمثلها, كما قال: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيّامٍ فِي الحَجّ والمعنى: فعليه صيام ثلاثة أيام. قال: وإن شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله: وَجَزَاءُ سَيّئَةٍ بِمِثْلِها. وقال بعض نحويي البصرة: الجزاء مرفوع بالابتداء: وخبره بمثلها. قال: ومعنى الكلام: جزاء سيئة مثلها, وزيدت الياء كما زيدت في قوله: بحسبك قول السوء. وقد أنكر ذلك من قول بعضهم فقال: يجوز أن تكون الباء في «حسب» (زائدة), لأن التأويل: إن قلت السوء فهو حسبك, فلما لم تدخل في الجزاء أدخلت في حسب بحسبك أن تقوم إن قمت فهو حسبك, فإن مدح ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك: حسبك بزيد, ولا يجوز: بحسبك زيد, لأن زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعا بإضمار بمعنى: فلهم جزاء سيئة بمثلها لأن الله قال في الآية التي قبلها: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ فوصف ما أعدّ لأوليائه, ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه, فأشبه بالكلام أن يقال: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة. وإذا وجه ذلك إلى هذا المعنى كانت الياء للجزاء.

القول في تأويل قوله تعالى: كأنّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعا مِنَ اللّيْلِ مُظْلِما أُولَئِكَ أصَحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

يقول تعالى ذكره: كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل, وهي جمع قطعة. وكان قتادة يقول في تأويل ذلك, ما:

13750ـ حدثنا به محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن قتادة: كأنما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعا مِنَ اللّيْلِ مُظْلِما قال: ظلمة من الليل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى: قِطَعا فقرأته عامة قرّاء الأمصار: قِطَعا بفتح الطاء على معنى جمع قطعة, وعلى معنى أن تأويل ذلك: كأنما أغشيت وجه كلّ إنسان منهم قطعة من سواد الليل, ثم جمع ذلك فقيل: كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد, إذ جمع «الوجه». وقرأه بعض

متأخري القرّاء: «قِطْعا» بسكون الطاء, بمعنى: كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل, وبقية من الليل, ساعة منه, كما قال: فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ أي ببقية قد بقيت منه, ويعتلّ لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه في مصحف أبيّ: «ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم».

والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي قراءة ذلك بفتح الطاء, لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار على تصويبها وشذوذ ما عداها. وحسب الأخرى دلالة على فسادها, خروج قارئها عما عليه قرّاء أهل الأمصار والإسلام.

فإن قال لنا قائل: فإن كان الصواب في قراءة ذلك ما قلت, فما وجه تذكير المظلم وتوحيده, وهو من نعت القِطَع والقِطْع جمع لمؤنث؟ قيل في تذكيره ذلك وجهان: أحدهما: أن يكون قطعا من الليل, وإن يكون من نعت الليل, فلما كان نكرة والليل معرفة نصب على القطع. فيكون معنى الكلام حينئذ: كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم, ثم حذفت الألف واللام من «المظلم», فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع وتسمي أهل البصرة ما كان كذلك حالاً, والكوفيّون قطعا. والوجه الآخر على نحو قول الشاعر:

لو أنّ مِدْحَةَ حَيّ مُنْشِرٌ أحَدا

والوجه الأول أحسن وجهيه.

وقوله: أُولَئِكَ أصَحابُ النّارِ يقول: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها, هُمْ فِيها خالِدُونَ يقول: هم فيها ماكثون.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمّ نَقُولُ لِلّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُمْ مّا كُنتُمْ إِيّانَا تَعْبُدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا, ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد: مكانكم أي امكثوا مكانكم, وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون, وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان. فَزَيّلْنا بَيْنَهُمْ يقول: ففرّقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به وبين غيره وأبنته منه. وقال: «فزيلنا» إرادة تكثير الفعل وتكريره. ولم يقل: «فزلنا بينهم». وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه: «فزايلنا بينهم», كما قيل: وَلا تُصعّرْ خَدّكَ و«لا تصاعر خدّك», والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت, يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد, فيقولون: فاعلت إذا كان الفعل لواحد. وأما إذا كان لاثنين فلا تكاد تقول إلا فاعلت.

وقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إيّانا تَعْبُدُونَ وذلك حين تَبرّأ الّذِينِ اتّبِعُوا مِنَ الّذِينَ اتّبَعُوا وَرَأوُا الْعَذَابَ وَتَقَطّعَتْ بِهِمُ الأسبابُ لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله, ونصبت لهم آلهتهم, قالوا: كنا نعبد هؤلاء, فقالت الآلهة لهم: ما كنتم إيانا تعبدون. كما:

13751ـ حُدثت عن مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: يكون يوم القيامة ساعة فيها شدّة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون, فيقال: هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله, فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون: والله لإياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة: فَكَفى بِاللّهِ شَهِيدا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إنْ كُنّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ.

13752ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعا ثُمّ نَقُولُ لِلّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُم فَزَيّلْنا بَيْنَهُمْ قال: فرّقنا بينهم. وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إيّانا تَعْبُدُونَ قالوا: بلى قد كنا نعبدكم, (ف) قالوا كَفَى باللّهِ شَهِيدا بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ إنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم. فقال الله: هُنالك تَبْلُو كُلّ نَفْس ما أسْلَفَتْ... الآية.

ورُوي عن مجاهد, أنه كان يتأوّل الحشر في هذا الموضع: الموت.

13753ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, قال: سمعتهم يذكرون عن مجاهد, في قوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعا قال: الحشر: الموت.

والذي قلنا في ذلك أولى بتأويله لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم, ومعلوم أن ذلك غير كائن في القبر, وأنه إنما هو خبر عما يقال لهم ويقولون في الموقف بعد البعث.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَفَىَ بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة, إذ قال المشركون بالله لها: إياكم كنا نعبد, كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أي إنها تقول: حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون, فإنه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون. إنّا كُنّا عَنْ عَبادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ يقول: ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلا غافلين, لا نشعر به ولا نعلم. كما:

13754ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ قال: ذلك كلّ شيء يُعبد من دون الله.

حدثني المثنى, قال: ثني إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد: إنْ كُنّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ قال: يقول ذلك كلّ شيء كان يعبد من دون الله.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلّ نَفْسٍ مّآ أَسْلَفَتْ وَرُدّوَاْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقّ وَضَلّ عَنْهُمْ مّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: هُنالِكَ تَبْلُو كُلّ نَفْس بالباء, بمعنى: عند ذلك تختبر كلّ نفس بما قدّمت من خير أو شرّ. وكان ممن يقرؤه ويتأوّله كذلك مجاهد.

13755ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: هُنالكَ تَبْلُو كُلّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ قال: تختبر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز: «تَتْلُو كُلّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ» بالتاء.

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله, فقال بعضهم: معناه وتأويله: هنالك تتبع كلّ نفس ما قدمت في الدنيا لذلك اليوم. ورُوي بنحو ذلك خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه قال: «يُمَثّلُ لِكُلّ قَوْمٍ ما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ يَوْمَ القِيامَةِ, فَيَتّبِعُونَهُمْ حتى يُورِدُوهُمُ النّارَ» قال: ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «هُنالكَ تَبْلُو كُلّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ». وقال بعضهم: بل معناه: تتلو كتاب حسناته وسيئاته, يعني تقرأ, كما قال جلّ ثناؤه: ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورا.

وقال آخرون: تبلو: تعاين. ذكر من قال ذلك:

13756ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هُنالكَ تَبْلُو كُلّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ قال: ما عملت. تبلو: تعاينه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء, وهما متقاربتا المعنى وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا, هجم به على مورده, فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيىء في الدنيا, وإن من خير من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة, فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قدم في الدنيا من علمه, فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له, فبأيتهما قرأ القارىء كما وصفنا فمصيب الصواب في ذلك.

أما قوله: وَرُدّوا إلى اللّهِ مَوْلاهُمُ الحَقّ فإنه يقول: ورجع هؤلاء المشركون يومئذ إلى الله الذي هو ربهم ومالكهم الحقّ لا شكّ فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد. وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ يقول: وبطل عنهم ما كانوا يتخرّصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء, وأنها تقرّبهم منه زلفى. كما:

13757ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَرُدّوا إلى اللّهِ مَوْلاهُمُ الحَقّ وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ قال: ما كانوا يدعون معه من الأنداد والآلهة, ما كانوا يفترون الآلهة, وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مّنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ أَمّن يَمْلِكُ السّمْعَ والأبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ وَمَن يُدَبّرُ الأمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثان والأصنام مَنْ يَرْزُقَكُمْ مِنَ السّماءِ الغيث والقطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها ويخرج ضحاها. وَ مِن الأرْضِ أقواتكم وغذاءكم الذي ينبته لكم وثمار أشجارها. أمْ مَنْ يَمْلِكُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ يقول: أم من ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها أن يزيد في قواها أو يسلبكموها فيجعلكم صُمّا, وأبصاركم التي تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها, أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون. وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيّتِ يقول: ومن يخرج الشيء الحيّ من الميت, ويُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ يقول: ويخرج الشيء الميت من الحيّ.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل والصواب من القول عندنا في ذلك بالأدلة الدالة على صحته في سورة آل عمران بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
وَمَنْ يُدَبّرِ الأمْرَ وقل لهم: من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهنّ وأمركم وأمر الخلق. فَسَيَقُولُونَ اللّهُ يقول جلّ ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله. فَقُلْ أفَلا تَتّقُونَ يقول: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادّعائكم ربّا غير من هذه الصفة صفته, وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئا ولا يملك لكم ضرّا ولا نفعا.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمُ الْحَقّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقّ إِلاّ الضّلاَلُ فَأنّىَ تُصْرَفُونَ }.
يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس, فهذا الذي يفعل هذه الأفعال, فيرزقكم من السماء والأرض ويملك السمع والأبصار, ويخرج الحيّ من الميت والميت من الحيّ, ويدبّر الأمر اللّهُ رَبّكُمُ الحَقّ لا شكّ فيه. فَمَاذا بَعْدَ الحَقّ إلاّ الضّلالُ يقول: فأيّ شيء سوى الحقّ إلا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل. يقول: فإذا كان الحقّ هو ذا, فادّعاؤكم غيره إلها ورَبّا هو الضلال والذهاب عن الحقّ لا شكّ فيه. فَأنّىَ تُصْرَفُونَ يقول: فأيّ وجه عن الهدى والحقّ تصرفون وسواهما تسلكون وأنتم مقرّون بأن الذي تصرفون عنه هو الحقّ.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {كَذَلِكَ حَقّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ عَلَى الّذِينَ فَسَقُوَاْ أنّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }.
يقول تعالى ذكره: كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحقّ إلى الضلال, كَذلكَ حَقّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ يقول: وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه, على الّذِينَ فَسَقُوا فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به أنّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول: لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ فَأنّىَ تُؤْفَكُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ يعني من الآلهة والأوثان مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ؟ يقول: من ينشىء خلق شيء من غير أصل, فيحدث خلقه ابتداء ثم يعيده, يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه, ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه؟ فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها. وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب وهي لله في العبادة شركاء كاذبون مفترون. فقُلِ لهم حينئذ يا محمد: اللّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ فينشئه من غير شيء ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه إذا شاء, ثُمّ يُعِيدُهُ إذا أراد كهيئته قبل الفناء. فَأنّي تُؤْفَكُونَ يقول: فأيّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون. كما:
13758ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: فَأنّىَ تُؤْفَكونَ قال: أنىَ تصرفون.

وقد بيّنا اختلاف المختلفين في تأويل قوله: أنّىَ تُؤْفَكُونَ والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده في سورة الأنعام.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مّن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقّ أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقّ أَحَقّ أَن يُتّبَعَ أَمّن لاَّ يَهِدّيَ إِلاّ أَن يُهْدَىَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين هَلْ مِنْ شُركائِكم الذين تدعون من دون الله, وذلك آلهتهم وأوثانهم, مَنْ يَهْدِي إلى الحَقّ يقول: من يرشد ضالاّ من ضلالته إلى قصد السبيل, ويسدّد جائزا عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم فإنهم لا يقدرون أن يدّعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالاّ أو تهدي حائرا. وذلك أنهم إن ادّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة, فإذا قالوا لا وأقرّوا بذلك, فقل لهم. فالله يهدي الضالّ عن الهدى إلى الحقّ. أفَمَنْ يَهْدِي أيها القوم ضالاّ إلى الحَقّ وجائرا عن الرشد إلى الرشد, أحَقّ أنْ يُتّبَعَ إلى ما يدعو إليه أمْ مَنْ لا يَهْدِي إلاّ أنْ يُهْدَىَ؟

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «أمْ مَنْ لا يَهْدّي» بتسكين الهاء وتشديد الدال, فجمعوا بين ساكنين. وكأن الذي دعاهم إلى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة إلى أنه: أم مَن لا يهتدي, ووجدوه في خطّ المصحف بغير ما قرروا وأن التاء حذفت لما أدغمت في الدال, فأقرّوا الهاء ساكنة على أصلها الذي كانت عليه, وشدّدوا الدال طلبا لإدغام التاء فيها, فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال. وكذلك فعلوا في قوله: «وَقُلْنا لَهُمْ لا تَعْدّوا في السّبْتِ» وفي قوله: يخَصّمونَ. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والشام والبصرة: «يَهَدّي» بفتح الهاء وتشديد الدال. وأمّوا ما أمّه المدنيون من الكلمة, غير أنهم نقلوا حركة التاء من «يهتدي» إلى الهاء الساكنة, فحرّكوا بحركتها وأدغموا التاء في الدال فشدّدوها. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: يَهِدّي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال, بنحو ما قصده قرّاء أهل المدينة غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من «يهتدي» استثقالاً للفتحة بعدها كسرة في حرف واحد. وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الكوفيين: «أمْ مَنْ لا يَهْدِي» بتسكين الهاء وتخفيف الدال, وقالوا: إن العرب تقول: هديت بمعنى اهتديت, قالوا: فمعنى قوله: أم مَنْ لا يَهْدِي: أم من لا يهتدي إلاّ أنْ يُهْدَى.

وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: «أمْ مَنْ لا يَهَدّي» بفتح الهاء وتشديد الدال, لما وصفنا من العلة لقارىء ذلك كذلك, وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب وفيهم المنكر غيره, وأحقّ الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله تبارك وتعالى.

فتأويل الكلام إذا: أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع, أم من لا يهتدي إلى شيء إلا أن يُهْدَى.

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك: أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن ينقل.

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما:

13759ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «أفمَنْ يَهْدِي إلى الحَقّ أحَقّ أنْ يُتّبَعَ أمْ مَنْ لا يَهدّي إلاّ أنْ يُهْدَىَ» قال: الأوثان, الله يهدي منها ومن غيرها من شاء لما شاء.
13760ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: «أمّنْ لا يهَدّي إلاّ أنْ يُهْدَىَ» قال: قال: الوثن.
وقوله: فمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ألا تعلمون أن من يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع من الذي لا يهتدي إلى شيء إلا أن يهديه إليه هاد غيره, فتتركوا اتباع من لا يهتدي إلى شيء وعبادته وتتبعوا من يهديكم في ظلمات البرّ والبحر وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم؟

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَتّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّ ظَنّاً إَنّ الظّنّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقّ شَيْئاً إِنّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنّا, يقول: إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته, بل هم منه في شكّ وريبة. إنّ الظّنّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقّ شَيْئا يقول: إن الشكّ لا يغني من اليقين شيئا, ولا يقوم في شيء مقامه, ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين. إنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ وتكذيبهم الحقّ اليقين, وهو لهم بالمرصاد, حيث لا يغني عنهم ظنهم من الله شيئا.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَتّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاّ ظَنّاً إَنّ الظّنّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقّ شَيْئاً إِنّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنّا, يقول: إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته, بل هم منه في شكّ وريبة. إنّ الظّنّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقّ شَيْئا يقول: إن الشكّ لا يغني من اليقين شيئا, ولا يقوم في شيء مقامه, ولا ينتفع به حيث يحتاج إلى اليقين. إنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظنّ وتكذيبهم الحقّ اليقين, وهو لهم بالمرصاد, حيث لا يغني عنهم ظنهم من الله شيئا.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.
يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: افترى محمد هذا القرآن من نفسه, فاختلقه وافتعله. قل يا محمد لهم: إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته, فإنكم مثلي من العرب, ولساني وكلامي مثل لسانكم, فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن. والهاء في قوله «مثله» كناية عن القرآن.
وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: معنى ذلك: قل فأتوا بسورة مثل سورته, ثم ألقيت «سورة» وأضيف المثل إلى ما كان مضافا إليه السورة, كما قيل: وَاسْئَلِ القَرْيَةَ يراد به: واسأل أهل القرية. وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه: فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك عندي أن السورة إنما هي سورة من القرآن, وهي قرآن, وإن لم تكن جميع القرآن, فقيل لهم: فأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ولم يقل: «مثلها», لأن الكناية أخرجت على المعنى, أعني معنى السورة, لا على لفظها, لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل: فأتوا بسورة مثلها. وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدر تم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم مِنْ دُونِ الله يقول: من عند غير الله, فأجمعوا على ذلك واجتهدوا, فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا.

وقوله: إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: إن كنتم صادقين في أن محمدا افتراه, فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها, فإن لم تفعلوا ذلك فلا شكّ أنكم كذبة في زعمكم أن محمدا افتراه لأن محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم, فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله, فالواحد منهم عن أن يأتي بجميعه أعجز.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ كَذّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك, ولكن بهم التكذيب بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ مما أنزل الله عليك في هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم, وَلمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ يقول: ولما يأتهم بعد بيان ما يئول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن. كذلكَ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول تعالى ذكره: كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله, كذلك كذّب الأمم التي خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم. فانْظُرُ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يا محمد كيف كان عقبىَ كفر من كفر بالله, ألم نهلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق؟ يقول: فإن عاقبة هؤلاء الذي يكذّبونك ويجحدون بآياتي من كفار قومك, كالتي كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الأمم, إن لم ينيبوا من كفرهم ويسارعوا إلى التوبة.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنهُمْ مّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مّن لاّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به, يقول: من سوف يصدق بالقرآن, ويقرّ أنه من عند الله. وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ أبدا, يقول: ومنهم من لا يصدّق به, ولا يقرّ أبدا. وَرَبّكَ أَعْلَمُ بالمُفْسِدِينَ يقول: والله أعلم بالمكذّبين به منهم, الذين لا يصدّقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه, وهو من وراء عقابه. فأما من كتبت له أن يؤمن به منهم فإني سأتوب عليه.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن كَذّبُوكَ فَقُل لّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيَئُونَ مِمّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مّمّا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وإن كذّبك يا محمد هؤلاء المشركون وردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك, فقل لهم: أيها القوم لي ديني وعملي ولكم دينكم وعملكم, لايضرّني عملكم ولا يضرّكم عملي, وإنما يُجَازَي كلّ عامل بعمله. أنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أعْمَلُ لا تؤاخذون بجريرته, وأنا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ لا أؤاخذ بجريرة عملكم. وهذا كما قال جلّ ثناؤه: قُلْ يا أيّها الكافِرُونَ لا أعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ. وقيل: إن هذه الآية منسوخة, نسخها الجهاد والأمر بالقتال. ذكر من قال ذلك:

13761ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإنْ كَذّبُوكَ فَقُلْ لي عَمَلِي وَلَكُم عَمَلُكُمْ... الآية, قال: أمره بهذا ثم نسخه, وأمره بجهادهم.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصّمّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك. أفأنْتَ تُسْمِعُ الصّمّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ يقول: أفأنت تخلق لهم السمع ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به, أم أنا؟ وإنما هذا إعلام من الله عباده أن التوفيق للإيمان به بيده لا إلى أحد سواه, يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع, فكذلك لا تقدر أن تُفْهِمَ أمري ونهيي قلبا سلبته فهم ذلك, لأني ختمت عليه أنه لا يؤمن.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنهُمْ مّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المشركين, مشركي قومك, من ينظر إليك يا محمد ويرى أعلامك وحججك على نبوّتك, ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدي, ولا تقدر أن تهديه, كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصرا يهتدي به. أفأنْتَ تَهْدِي العُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ يقول: أفأنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك, ولا يقدر عليه أحد سواي, فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد, أنت ولا أحد غيري, لأن ذلك بيدي وإليّ. وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذّب, وتعزية له عنهم, وأمر برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَلَـكِنّ النّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه, لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إياه, ولا يعذّبهم إلا بكفرهم به ولَكِنّ النّاسَ يقول: ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه. وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

به, أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الإيمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم, وإخبار أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها, فحقّ عليهم قول ربهم, وطَبَعَ على قُلوبِهِمْ.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لّمْ يَلْبَثُواْ إِلاّ سَاعَةً مّنَ النّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُواْ بِلِقَآءِ اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم في موقف الحساب, كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم, ثم انقطعت المعرفة وانقضت تلك الساعة. يقول الله: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بِلِقاء اللّهِ وَما كانُواْ مُهْتَدِينَ, قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه وحظوظهم من الخير, وهلكوا. وما كَانُوا مُهْتَدِينَ يقول: وما كانوا موفقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لأنه أكسبهم ذلك ما لا قبَل لهم به من عذاب الله.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِمّا نُرِيَنّكَ بَعْضَ الّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفّيَنّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَىَ مَا يَفْعَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب, أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم. فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ يقول: فمصيرهم بكلّ حال إلينا ومنقلبهم. ثُمّ اللّهُ شَهِيدٌ على ما يَفْعَلُونَ يقول جلّ ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا, وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها, وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم جزاءهم الذي يستحقونه. كما:

13762ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وإمّا نُرِيَنّكَ بَعْضَ الّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب في حياتك, أوْ نَتَوَفّيَنّكَ قبل, فإلَيْنا مَرْجِعُهُم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِكُلّ أُمّةٍ رّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولكلّ أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته إليهم, كما أرسلت محمدا إليكم يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته. فإذا جَاءَ رَسُولُهُمْ يعني في الآخرة كما:

13763ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ولِكُلّ أُمّةٍ رَسُولٌ فإذَا جاء رَسَوُلُهُمْ قال: يوم القيامة.

وقوله: قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ يقول قضي حينئذ بينهم بالعدل وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ من جزاء أعمالهم شيئا, ولكن يجازي المحسن بإحسانه والمسيء

من أهل الإيمان إما أن يعاقبه الله وأما أن يعفو عنه, والكافر يخلد في النار فذلك قضاء الله بينهم بالعدل, وذلك لا شكّ عدل لا ظلم.
13764ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ قال: بالعدل.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَىَ هَـَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد مَتى هَذَا الوَعْدُ الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله؟ وذلك قيام الساعة إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لاّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاّ مَا شَآءَ اللّهُ لِكُلّ أُمّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لمستعجليك وَعيدَ الله, القائلين لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين: لا أَمْلِكُ لَنْفِسي أيها القوم أي لا أقدر لها على ضرّ ولا نفع في دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه إليها بأذنه. يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه, فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز, إلاّ بمشيئته وإذنه لي في ذلك. لكلّ أمةٍ أَجَلٌ يقول: لكلّ قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم, فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم, لا يستأخرون عنه ساعة فيُمْهَلُون وُيؤَخّرون, ولا يستقدمون قبل ذلك لأن الله قضى أن لا يتقدّم ذلك قبل الحين الذي قدّره وقضاه.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بياتا, يقول: ليلاً أو نهارا, وجاءت الساعة, وقامت القيامة أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم؟ يقول الله تعالى ذكره: ماذا يَسْتعَجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله, وهم الضّالون بحرّه دون غيرهم, ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {أَثُمّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به, يقول: صدّقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق, وقيل لكم حينئذ: آلآن تصدّقون به, وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون, وأنتم بنزوله مكذّبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون. ومعنى قوله: أثُمّ في هذا الموضع: أهنالك وليست «ثم» هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ قِيلَ لِلّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ثُمّ قِيلَ لِلّذِينَ ظَلَمُوا أنفسهم بكفرهم بالله: ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ تجرّعوا عَذَابَ اللّهِ الدّائمِ لكم أبدا, الذي لا فناء له ولا زوال. هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ يقول: يقال لهم: فانظروا هَلْ تُجْزَوْنَ أي هل تثابون إِلاّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ؟ يقول: إلا بما كنتم تعملون في حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبّيَ إِنّهُ لَحَقّ وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك: أحقّ ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا؟ قل لهم يا محمد إي وربي إنه لحقّ لا شكّ فيه, وما أنتم بمعجزي الله إذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع, بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه, إذ أراد فعل ذلك بكم, فاتقوا الله في أنفسكم.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنّ لِكُلّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرّواْ النّدَامَةَ لَمّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو أن لكلّ نفس كفرت بالله. وظُلْمُها في هذا الموضع: عبادتها غير من يستحقّ عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته. ما فِي الأرْضِ من قليل أو كثير, لافْتدَتْ بهِ يقول: لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذَا عاينته. وقوله: وأسَرّوا النّدَامَةَ لَمّا رأوُا العَذَابَ يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم, وأيقنوا أنه واقع بهم. وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ يقول: وقضىَ الله يؤمئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل. وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم إلا بجريرته ولا يأخذه بذنب أحد ولا يعذّب إلا من قد أعذر إليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلآ إِنّ للّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَلاَ إِنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول جلّ ذكره: ألا إن كلّ ما في السموات وكلّ ما في الأرض من شيء لله ملك, لا شيء فيه لأحد سواه. يقول: فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شيء يملكه فيفتدى به من عذاب ربه, وإنما الأشياء كلها للذي إليه عقابه, ولو كانت له الأشياء التي هي في الأرض ثم افتدى بما لم يقبل منه بدلاً من عذابه فيصرف بها عنه العذاب, فكيف وهو لا شيء له يفتدى به منه وقد حقّ عليه عذاب الله. يقول الله جلّ ثناؤه: ألا إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ يعني أن عذابه الذي أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حقّ, فلا عليهم أن لا يستعجلوا به فإنه بهم واقع لا شكّ. وَلَكِنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ يقول: ولكن أكثر هؤلاء

المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم, فهم من أجل جهلهم به مكذّبون.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الله هو المحيي المميت لا يتعذّر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ولا إماتتهم إذا أراد ذلك, وهم إليه يصيرون بعد مماتهم فيعاينون ما كانوا به مكذّبين من وعيد الله وعقابه.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّاسُ قَدْ جَآءَتْكُمْ مّوْعِظَةٌ مّن رّبّكُمْ وَشِفَآءٌ لّمَا فِي الصّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لّلْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره لخلقه: يا أيّها الناس قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبّكُمْ يعني ذِكْرَى تذكركم عقاب الله وتخوّفكم وعيده من ربكم. يقول: من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد, فتقولوا: لا نأمن أن تكون لا صحة لها. وإنما يعني بذلك جلّ ثناؤه القرآن, وهو الموعظة من الله. وقوله: وَشِفاءٌ لِمَا فِي الصّدُورِ يقول: ودواء لما في الصدور من الجهل, يشفي به الله جهل الجهال, فيبرىء به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به. وَهُدًى يقول: وهو بيان لحلال الله وحرامه, ودليل على طاعته ومعصيته. وَرَحْمَةٌ يرحم بها من شاء من خلقه, فينقذه به من الضلالة إلى الهدى, وينجيه به من الهلاك والردى. وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به, لأن من كفر به فهو عليه عمى, وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لَظَى.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مّمّا يَجْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين بك وبما أنزل إليك من عند ربك: بِفَضْلِ اللّهِ أيها الناس الذي تفضل به عليكم, وهو الإسلام, فبينه لكم ودعاكم إليه, وَبِرَحمَتِهِ التي رحمكم بها, فأنزلها إليكم, فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه, وبَصّركم بها معالم دينكم وذلك القرآن. فَبِذلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزله عليهم, خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13765ـ حدثني عليّ بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الحجاج, عن عطية, عن أبي سعيد الخدريّ, في قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا قال: بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله.

13766ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل, عن منصور, عن هلال بن يساف: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا قال: بالإسلام الذي هداكم, وبالقرآن الذي علّمكم.

13767ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن هلال بن يساف: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قال: بالإسلام والقرآن: فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعون من الذهب والفضة.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن هلال بن يساف, في قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قال: فضل الله: الإسلام, ورحمته: القرآن.
حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن هلال بن يساف, في قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ قال: الإسلام والقرآن.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم وقبيصة, قالا: حدثنا سفيان, عن منصور, عن هلال بن يساف مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن هلال, مثله.
13768ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا أما فضله: فالإسلام, وأما رحمته: فالقرآن.
13769ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ قال: فضله: الإسلام, ورحمته: القرآن.
13770ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ قال: القرآن.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَبِرَحْمَتِهِ قال: القرآن.
13771ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: هَوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ قال: الأموال وغيرها.
13772ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ يقول: فضله: الإسلام, ورحمته: القرآن.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن هلال: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا قال: بكتاب الله وبالإسلام. هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعونَ.
وقال آخرون: بل الفضل: القرآن, والرحمة: الإسلام. ذكر من قال ذلك:
13773ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ قال: بفضل الله: القرآن, وبرحمته: حين جعلهم من أهل القرآن.
13774ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: حدثنا هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم, قال: فضل الله: القرآن, ورحمته: الإسلام.
13775ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ قال: بفضل الله: القرآن, وبرحمته, الإسلام.

13776ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحَمتِهِ فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا قال: كان أبي يقول: فضله: القرآن, ورحمته: الإسلام.

واختلفت القراء في قراءة قوله: فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا. فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: فَلْيَفْرَحُوا بالياء, هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ بالياء أيضا على التأويل الذي تأوّلناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله. يقول: فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون, لا بالمال الذي يجمعون, فإن الإسلام والقرآن خير من المال الذي يجمعون. وكذلك:

13777ـ حُدثت عن عبد الوهاب بن عطاء, عن هارون, عن أبي التياح: فَبِذَلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ يعني الكفار.

ورُوي عن أبيّ بن كعب في ذلك ما:

13778ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أسلم المنقري, عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي, عن أبيه, عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ: «فَبِذَلكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ» بالتاء.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم عن الأجلح, عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي, عن أبيه, عن أبيّ بن كعب مثل ذلك.

وكذلك كان الحسن البصري يقول غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله: هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ بالياء الأوّل على وجه الخطاب, والثاني على وجه الخبر عن غائب. وكان أبو جعفر القارىء فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبيّ بالتاء جميعا.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء: فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعونَ لمعنيين:

أحدهما: إجماع الحجة من القرّاء عليه, والثاني: صحته في العربية. وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء, وإنما تأمره فتقول: افعل ولا تفعل.

وبعد: فإني لا أعلم أحدا من أهل العربية إلا وهو يستردىء أمر المخاطب باللام, ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء, فإنه كان يزعم أن اللام في ذي التاء الذي خلق له واجهتَ به أم لم تواجِهْ, إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهم, كما حذفوا التاء من الفعل. قال: وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف, فلما حذفت التاء ذهبت اللام وأحدثت الألف في قولك: اضرب وافرح, لأن الفاء ساكنة, فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن, فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء, كما قال: ادّاركوا واثّاقَلْتُمْ. وهذا الذي اعتلّ به الفراء عليه لا له وذلك أن العرب إن كانت قد حذفت اللام في المواجه وتركتها, فليس لغيرها إذا نطق بكلامها أن يدخل فيها ما ليس منه ما دام متكلما بلغتها, فإن فعل ذلك كان خارجا عن لغتها, وكلام الله الذي أنزله على محمد بلسانها, فليس لأحد أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها, وإن كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها, فكيف بما ليس بمعروف من لغة حيّ ولا قبيلة منها؟ وإنما هو دعوى لا ثبَت بها ولا حجة.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مّآ أَنزَلَ اللّهُ لَكُمْ مّن رّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ ءَآللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين: أَرَأَيْتُمْ أيها الناس ما أَنْزَلَ الله لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ يقول: ما خلق الله لكم من الرزق فخوّلكموه, وذلك ما تتغذّون به من الأطعمة فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً يقول: فحللتم بعض ذلك لأنفسكم, وحرّمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرّمونه من حروثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم, كما وصفهم الله به فقال: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأَنْعامِ نَصِيبا فَقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكائِنا. ومن الأنعام ما كانوا يحرّمونه بالتبحير والتسيبب ونحو ذلك, مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ بأن تحرّموا ما حرّمتم منه أمْ على اللّهِ تَفْتَرونَ: أي تقولون الباطل وتكذبون؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13779ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها, وهو قول الله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً وهو هذا, فأنزل الله تعالى: قُلْ مَنْ حَرّم زِينَةَ اللّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ.... الآية.

13780ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ... إلى قوله: أمْ على اللّهِ تَفْتَرُونَ قال: هم أهل الشرك.

13781ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامَا وَحَلالاً قال: الحرث والأنعام.

قال ابن جريج: قال مجاهد: البحائر والسيب.

13782ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامَا وَحَلالاً قال: في البحيرة والسائبة.

13783ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامَا وَحَلالاً... الآية, يقول: كلّ رزق لم أحرّم حرّمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم آللّهُ أذِنَ لَكُمْ فيما حرّمتم من ذلك أمْ عَلىَ الله تَفْتَرُونَ؟

13784ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامَا وَحَلالاً. فقرأ حتى بلغ: أمْ على اللّهِ تَفْتَرُونَ. وقرأ وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا. وقرأ: وَقالُوا هَذِه أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ... حتى بلغ: لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها. فقال: هذا قوله: جعل لهم رزقا, فجعلوا منه حراما وحلالاً, وحرّموا بعضه وأحَلّوا بعضه. وقرأ: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ منَ الضّأن اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أمِ الأنْثَيَيْنِ أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأنْثَيَيْنِ أيّ هذين حرّم على هؤلاء الذين يقولون وأحلّ لهؤلاء؟ نَبّئُونِي بِعِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا... إلى آخر الآيات.

13785ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْق فجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامَا وَحَلالاً هو الذي قال الله: وَجَعَلُوا للّهِ مِمّا ذَرأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا... إلى قوله: ساءَ ما يَحْكمونَ.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا ظَنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما ظنَّ هؤلاء الذين يتخرّصون على الله الكذب فَيُضيفون إليه تحريم ما لم يحرّمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاء, أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفِرْيتهم عليه, أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا. إنّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ على النّاس يقول: إن الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة. وَلَكِنّ أكَثرهُم لا يَشْكُرُونَ يقول: ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبّكَ مِن مّثْقَالِ ذَرّةٍ فِي الأرْضِ وَلاَ فِي السّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلآ أَكْبَرَ إِلاّ فِي كِتَابٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَما تَكُونُ يا محمد فِي شأنٍ يعني في عمل من الأعمال, وَما تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرآن يقول: وما تقرأ من كتاب الله من قرآن, وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ يقول: ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شرّ إلاّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا يقول: إلا ونحن شهود لأعمالكم وشؤونكم إذ تعملونها وتأخذون فيها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوي القول عن ابن عباس وجماعة. ذكر من قال ذلك:

13786ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ يقول: إذ تفعلون.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ تشيعون في القرآن الكذب ذكر من قال ذلك:

13787ـ حُدثت عن المسيب بن شريك, عن أبي روق, عن الضحاك: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ يقول: فتشيعون في القرآن من الكذب.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ تفيضون في الحقّ. ذكر من قال ذلك:

13788ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن أبي نجيح, عن مجاهد: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ في الحقّ ما كان.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه, لأنه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عبادُه عملاً إلا كان شاهده, ثم وصل ذلك بقوله: إذْ يُفِيضُونَ فِيهِ فكان معلوما أن قوله: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ إنما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن لأن ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت إفاضة القوم في القرآن, لكانت القراءة بالياء: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ خبرا منه عن المكذّبين فيه.

فإن قال قائل: ليس ذلك خبرا عن المكذّبين, ولكن خطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم أنه شاهده إذ تلا القرآن فإن ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل: «إذ تفيض فيه», لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع, كما قال: وَما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ فأفرده بالخطاب, ولكن ذلك في ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالإفراد ثم عوده إلى إخراج الخطاب على الجمع نظير قوله: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ, وذلك أن في قوله: إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ دليلاً واضحا على صرفه الخطاب إلى جماعة المسلمين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره لأنه ابتدأ خطابه ثم صرف الخطاب إلى جماعة الناس, والنبيّ صلى الله عليه وسلم فيهم, وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملاً إلا وهو له شاهد يحصى عليه ويعلمه, كما قال: وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبّكَ يا محمد عمل خلقه, ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان من أرض أو سماء. وأصله من عزوب الرجل عن أهله في ماشيته, وذلك غيبته عنهم فيها, يقال منه: عزب الرجل عن أهله يَعْزُبُ وَيعْزِبُ لغتان فصيحتان, قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء. وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, لاتفاق معنييهما واستفاضتهما في منطق العرب غير أني أميل إلى الضمّ فيه لأنه أغلب على المشهورين من القرّاء.

وقوله: مِنْ مِثْقالِ ذَرّةٍ يعني: من زنة نملة صغيرة, يحكى عن العرب: خذ هذا فإنه أخفّ مثقالاً من ذاك أي أخفّ وزنا. والذرّة واحدة الذرّ, والذرّ: صغار النمل. وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه جلّ جلاله أصغر الأشياء, وإن خفّ في الوزن كلّ الخفة, ومقادير ذلك ومبلغه, ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه, وكم مبلغ ذلك. يقول تعالى ذكره لخلقه: فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم, فإنا شهود لأعمالكم, لا يخفى علينا شيء منها, ونحن محصوها ومجازوكم بها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلا أصْغَرَ مِنَ ذلكَ وَلا أكْبَرَ فقرأ ذلك عامّة القرّاء بفتح الراء من «أصغر» و«أكبر» على أن معناها الخفض, عطفا بالأصغر على الذرّة وبالأكبر على الأصغر, ثم فتحت راؤهما لأنهما لا يجريان. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «وَلا أصْغَرُ مِنْ ذلكَ وَلا أكْبَرُ» رفعا, عطفا بذلك على معنى المثقال لأن معناه الرفع. وذلك أن «مِنْ» لو أُلقيت من الكلام لرفع المثقال, وكان الكلام حينئذ: وَما يَعْزُبُ عن ربك مثقال ذرّة ولا أصغر من مثقال ذرّة ولا أكبر, وذلك نحو قوله: مِنْ خَالِقٍ غَيرُ اللّهِ و«غيرِ الله».

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض والردّ على الذرّة لأن ذلك قراءة قرّاء الأمصار وعليه عوامّ القرّاء, وهو أصحّ في العربية مخرجا وإن كان للأخرى وجه معروف.

وقوله: إلاّ فِي كِتابٍ يقول: وما ذاك كله إلا في كتاب عند الله مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لا شيء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جلّ ثناؤه فيه, وأنه لا يعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه.

13789ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَما يَعْزُبُ يقول: لا يغيب عنه.

حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, عن ابن عباس: وَما يَعْزُبُ عَنْ رَبّكَ قال: ما يغيب عنه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلآ إِنّ أَوْلِيَآءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه, وَلا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. والأولياء جمع وليّ, وهو النصير. وقد بيّنا ذلك بشواهده.

واختلف أهل التأويل فيمن يستحقّ هذا الاسم, فقال بعضهم: هم قوم يُذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والإخبات. ذكر من قال ذلك:

13790ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا ابن أبي ليلى, عن الحكم, عن مقسم, وسعيد بن جبير, عن ابن عباس: ألا إنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ قال: الذين يذكر الله لرؤيتهم.

13791ـ حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا: حدثنا ابن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

13792ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن العلاء بن المسيب, عن أبي الضحى, مثله.

13793ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن العلاء بن المسيب, عن أبيه: ألا إنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ قال: الذين يذكر الله لرؤيتهم.

قال: حدثنا ابن مهدي وعبيد الله, عن سفيان, عن العلاء بن المسيب, عن أبي الضحى, قال: سمعته يقول في هذه الآية: ألا إنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ قال: من الناس مفاتيح أذا رُؤوا ذكر الله لرؤيتهم.

قال: حدثنا أبي, عن مسعر, عن سهل بن الأسد, عن سعيد بن جبير, قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله, فقال «الّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّهُ».

13794ـ قال: حدثنا زيد بن حباب, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي وائل, عن عبد الله: ألا إنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ قال: الذين إذا رُؤُوا ذكر الله لرؤيتهم.

قال: حدثنا أبو يزيد الرازي, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال «هُمُ الّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّهُ».

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا فرات, عن أبي سعد, عن سعيد بن جبير, قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله, قال: «هُمُ الّذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّهُ».

13795ـ قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام, عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله: ألا إنّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ... الآية, قال: إن وليّ الله إذا رُؤي ذكر الله.

وقال آخرون في ذلك بما:

13796ـ حدثنا أبو هاشم الرفاعي, قال: حدثنا ابن فضيل, قال: حدثنا أبي عن عمارة بن القعقاع الضبي, عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مِنْ عِبادِ اللّهِ عِبادا يَغْبِطُهُمُ الأنْبِياءُ والشهَدَاءُ». قيل: من هم يا رسول الله, فلعلنا نحبهّم؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحابّوا في اللّهِ مِنْ غيرِ أمْوَالٍ وَلا أنْسابٍ, وُجُوهُهُمْ مِنْ نُور,

على مَنابِرَ مِنْ نُورٍ, لا يَخافُونَ إذَا خافَ النّاسُ, وَلا يَحْزَنُونَ إذَا حَزَنَ النّاس» وقرأ: ألا إنّ أوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

13797ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عمارة, عن أبي زرعة, عن عمر بن الخطاب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مِنْ عِبادِ اللّهِ لاَناسا ما هُمْ بأنْبِياءَ وَلا شُهَدَاءَ, يغَبْطِهِمُ الأنْبِياءُ والشّهَدَاءُ يَوْمَ القِيامَةِ بِمَكانِهِمْ مِنَ اللّهِ». قالوا: يا رسول اللّه أخبرنا من هم, وما أعمالهم, فإنا نحبهم لذلك؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحابّوا فِي اللّهِ بِرُوحِ اللّهِ على غيرِ أرْحامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أمْوَال يَتَعاطَوَنها, فَوَاللّهِ إنّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ, وَإنّهُمْ لَعَلى نُورٍ, لا يَخافونَ إذَا خافَ النّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إذَا حَزَنَ النّاسُ». وقرأ هذه الآية: ألا إنّ أوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

13798ـ حدثنا بحر بن نصر الخولاني, قال: حدثنا يحيى بن حسان, قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام, قال: حدثنا شهر بن حوشب, عن عبد الرحمن بن غنم, عن أبي مالك الأشعري, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَأتِي مِنْ أفناءِ النّاسِ ونَوَازِعِ القَبائِلِ قَوْمٌ لَمْ يَتّصِلْ بَيْنَهُمْ أرْحامٌ مُتَقارِبَةٌ, تَحابّوا فِي اللّهِ وَتَصَافَوْا فِي اللّهِ يَصَعُ اللّهُ لَهُمْ يَومَ القِيامَةِ مَنابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْها, يَفْزَعُ النّاسُ فَلا يَفْزَعُونَ, وَهُمْ أوْلِياءُ اللّهِ الّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

والصواب من القول في ذلك أن يقال: الوليّ, أعني وليّ الله, هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها, وهو الذي آمن واتقى, كما قال الله: الّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتّقُونَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, كان ابن زيد يقول:

13799ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ألا إنّ أوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ من هم يا ربّ؟ قال: الّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتّقُونَ قال: أبى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى.

الآية :63

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: الذين صدّقوا الله ورسوله, وما جاء به من عند الله, وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. وقوله: الّذِينَ آمَنُوا من نعت الأولياء. ومعنى الكلام: ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون, لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فإن قال قائل: فإذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفي موضع رفع «الذين آمنوا» أم في موضع نصب؟ قيل: في موضع رفع, وإنما كان كذلك وإن كان من نعت الأولياء لمجيئه بعد خبر الأولياء, والعرب كذلك تفعل خاصة في «إنّ», إذا جاء نعت الاسم الذي عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه, فقالوا: إنّ أخاك قائم الظريف, كما قال الله: قُلْ إنّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ عَلاّمُ الغُيُوبِ وكما قال: إنّ ذلكَ لَحَقّ تَخاصُمُ أهْلِ النّارِ.

وقد اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك, مع أن إجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التي من أجلها قيل ذلك كذلك.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَىَ فِي الْحَياةِ الدّنْيَا وَفِي الاَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: البشرى من الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون.

ثم اختلف أهل التأويل في البشرى التي بشّر الله بها هؤلاء القوم ما هي, وما صفتها؟ فقال بعضهم: هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له, وفي الآخرة الجنة. ذكر من قال ذلك:

13800ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن ذكوان, عن شيخ, عن أبي الدرداء, قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُؤْمِنُ أوْ تَرَى لَهُ».

13801ـ حدثنا العباس بن الوليد, قال: أخبرني أبي, قال: أخبرنا الأوزاعي, قال: أخبرني يحيى بن أبي كثير, قال: ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن, قال: سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن هذه الآية: الّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتّقُونَ لهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنيَا وفِي الآخِرَةِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ», أو قال: «غَيْرَكَ». قال: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها الرّجُلُ الصّالِحُ, أوْ تُرَى لَهُ».

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو داود عمن ذكره, عن يحيى بن أبي كثير, عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن, عن عبادة بن الصامت, قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن قول الله تعالى: الّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتّقُونَ. لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنيَا وفِي الآخِرَةِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ».

حدثنا أبو قلابة, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا أبان, عن يحيى بن أبي كثير, عن أبي سلمة, عن عبادة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر, قالا: حدثنا عليّ بن يحيى, عن أبي سلمة, قال: نبئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنيَا وفِي الآخِرَةِ فقال: «سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها الرّجُلُ أوْ تُرَى لَهُ».

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن عطاء بن يسار, عن رجل من أهل مصر, عن أبي الدرداء: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية, فقال: لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها الرّجُلُ المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ, بُشْرَاهُ فِي الحَياةِ الدّنْيا, وبُشْرَاهُ فِي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, عن سفيان, عن ابن المنكدر, عن عطاء بن يسار, عن رجل من أهل مصر, قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ فقال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك, إلا رجلاً واحدا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أنْزَلَها اللّهُ غيرَكَ إلاّ رَجُلاً وَاحِدا, هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ».

حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا سفيان, عن ابن المنكدر, سمع عطاء بن يسار, يخبر عن رجل من أهل مصر, أنه سأل أبا الدرداء عن: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني, عن عثمان بن سعيد.

13802ـ حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة, قال: ثني يحيى بن سعيد, قال: حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الأخموشي, عن حميد بن عبد الله المزني, قال: أتى رجل عبادة بن الصامت, فقال: آية في كتاب الله أسألك عنها, قول الله تعالى: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ؟ فقال عبادة: ما سألني عنها أحد قبلك, سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ المُؤْمِنُ فِي المَنامِ أوْ تُرَى لَهُ».

13803ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, قال: حدثنا هشام, عن ابن سيرين, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرّؤْيا الحَسَنَةُ هِيَ البُشْرَى يَرَاها المُسْلِمُ, أو تُرَى لَهُ».

13804ـ قال: حدثنا أبو بكر, عن أبي حصين, عن أبي صالح, قال: قال أبو هريرة: الرؤيا الحسنة بشرى من الله, وهي المبشرات.

حدثنا محمد بن حاتم المؤدّب, قال: حدثنا عمار بن محمد, قال: حدثنا الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا: «الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ الصّالِحُ أوْ تُرَى لَهُ, وَهِيَ فِي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

13805ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محمد بن يزيد, قال: حدثنا رشدين بن سعد, عن عمرو بن الحرث, عن أبي الشيخ, عن عبد الرحمن بن جبير, عن عبد الله بن عمرو بن العاص, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا: «الرّؤْيا الصّالِحَةُ يُبَشّرُ بِها العَبْدُ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النّبُوّةِ».

13806ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن أيوب بن خالد بن صفوان, عن عبادة بن الصامت, أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ فقد عرفنا بشرى الآخرة, فما بشرى الدنيا؟ قال: «الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ, وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أرْبَعَةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءًا, أوْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النّبُوّةِ».

حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا أبو عمرو, قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير, عن أبي سلمة, عن عبادة بن الصامت, أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا فقال: «لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أمّتِي قَبْلَكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ, وفِي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

13807ـ حدثنا أحمد بن حماد الدولابي, قال: حدثنا سفيان, عن عبيد الله بن أبي يزيد, عن أبيه, عن سباع بن ثابت, عن أم كرز الكعبية, سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ذَهَبَتِ النّبُوّةُ وَبَقِيَتِ المُبَشّرَاتُ».

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن الأعمش, عن ذكوان, عن رجل, عن أبي الدرداء, عن النبيّ صلى الله

عليه وسلم, في قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: «الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ, وفِي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن عطاء بن يسار, عن رجل كان بمصر, قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ فقال أبو الدرداء: ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ, وفي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, عن أبي صالح, عن أبي الدرداء, قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ غيرُكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ».

قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن عطاء بن يسار, عن أبي الدرداء في قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ, وفِي الآخِرَةِ الجَنّةُ».

قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عبد العزيز بن رفيع, عن أبي صالح, قال ابن عيينة ثم سمعته من عبد العزيز, عن أبي صالح السمان, عن عطاء بن يسار, عن رجل من أهل مصر, قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ مُنْذُ أنْزِلَتْ عَليّ إلاّ رَجُلٌ وَاحِدٌ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها الرّجُلُ أوْ تُرَى لَهُ».

قال: حدثنا عبد الله بكر السهمي, عن حاتم بن أبي صغيرة, عن عمرو بن دينار: أنه سأل رجلاً من أهل مصر فقيها قدم عليهم في بعض تلك المواسم, قال: قلت: ألا تخبرني عن قول الله تعالى: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا؟ قال: سألت عنها أبا الدرداء, فأخبرني أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هِيَ الرّؤْيا الحَسَنَة يَرَاها العَبْد أوْ تُرَى لَهُ».

قال: حدثنا أبي, عن عليّ بن مبارك, عن يحيى بن أبي كثير, عن أبي سلمة بن عبد الرحمن, عن عبادة بن الصامت, قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْد أوْ تُرَى لَهُ».

حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم وأبو الوليد الطيالسي, قالا: حدثنا أبان, قال: حدثنا يحيى, عن أبي سلمة, عن عبادة بن الصامت, قال: قلت: يا رسول الله, قال الله تعالى: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ؟ فقال: «لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ قَبْلَكَ أوْ أحَدٌ مِنْ أمّتِي» قالَ: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها الرّجُلُ الصّالِحُ أوْ تُرَى لَهُ».

قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن عاصم بن بهدلة, عن أبي صالح, قال: سمعت أبا الدرداء, وسئل عن: الّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتّقُونَ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنيَا قال: ما سألني عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها, فقال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ قَبْلَكَ هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها العَبْدُ أوْ تُرَى لَهُ».

13808ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عبيد الله بن أبي يزيد, عن نافع بن جبير, عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, في قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: «هِيَ الرّؤْيا الحَسَنَةُ يَرَاها الإنْسانُ أوْ تُرَى لَهُ».

وقال: ابن جريج عن عمرو بن دينار, عن أبي الدرداء, أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر, عن عطاء بن يسار, عن أبي الدرداء, قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها, فقال: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ». وقال ابن جريج, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: هي الرؤيا يراها الرجل.

13809ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن يحيى بن أبي كثير, قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

13810ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة, عن هشام بن عروة, عن أبيه: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: هي الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح.

13811ـ قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن مجاهد, قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

13812ـ قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن طلحة القناد, عن جعفر بن أبي المُغيرة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: هي الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه.

13813ـ قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كانوا يقولون: الرؤيا من المبشرات.

13814ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن قيس بن سعد. أن رجلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عنها, فقال: «ما سألَنِي عَنْها أحَدٌ مِنْ أمّتِي مُنْذُ أنْزِلَتْ عَليّ قَبْلَكَ». قال: «هِيَ الرّؤْيا الصّالِحَة يَرَاها الرّجُل لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَه».

13815ـ قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن العوّام, عن إبراهيم التيمي, أن ابن مسعود قال: ذهبت النبوّة, وبقيت المبشرات, قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

13816ـ قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا فهو قوله لنبيه: وَبَشّرِ المُؤْمِنِينَ بأنّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلاً كَبِيرا قال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له.

13817ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا محمد بن حرب, قال: حدثنا ابن لهيعة, عن خالد بن يزيد, عن عطاء, في قوله: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: هي رؤيا الرجل المسلم يبشر بها في حياته.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, أن درّاجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير, عن عبد الله بن عمرو, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّهُ قال: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا: «الرّؤْيا الصّالِحَة يُبَشّر بِها المُؤمِنُ جُزْءا مِنْ سِتّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النّبُوّةِ».

حدثني يونس, قال: أخبرنا أنس بن عياض, عن هشام, عن أبيه في هذه الآية: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

حدثنا محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان, قال: حدثنا حميد بن عبد الله: أن رجلاً سأل عبادة بن الصامت عن قول الله تعالى: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وفِي الآخِرَةِ فقال عبادة: لقد سألتني

عن أمر ما سألني عنه أحد قبلك, ولقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني فقال لي: «يا عُبادَةُ لَقَدْ سألْتَنِي عَنْ أمْرٍ ما سألَنِي عَنْهُ أحَدٌ مِنْ أمّتِي تِلْكَ الرّؤْيا الصّالِحَةُ يَرَاها المُؤْمِنُ لِنَفْسِهِ أوْ تُرَى لَهُ».

وقال آخرون: هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت. ذكر من قال ذلك:

13818ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري وقتادة: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: هي البشارة عند الموت في الحياة الدنيا.

13819ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يعلى, عن أبي بسطام, عن الضحاك: لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا قال: يعلم أين هو قبل الموت.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا, ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله, كما رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ المَلائِكَةَ التي تَحْضُرُه عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ, تَقُولُ لَنَفْسِهِ: اخْرُجي إلى رَحْمَةِ اللّهِ وَرِضْوَانِهِ». وَمنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل, كما قال جلّ ثناؤه: وبَشّرِ الّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ أنّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ... الآيَة. وكلّ هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها, ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى, فذلك مما عمه جلّ ثناؤه أن لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَياةِ الدّنْيا وأما في الآخرة فالجنة.

وأما قوله: لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللّهِ فإن معناه: إن الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضي لخلقه مواعيده وينجزها لهم. وقد:

13820ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية عن أيوب, عن نافع, قال: أطال الحجاج الخطبة, فوضع ابن عمر رأسه في حجري, فقال الحجاج: إن ابن الزبير بدّل كتاب الله فقعد ابن عمر فقال: لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللّهِ. فقال الحجاج: لقد أوتيت علما أن تفعل. قال أيوب: فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكت.

وقوله: ذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول تعالى ذكره: هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم, يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنّ الْعِزّةَ للّهِ جَمِيعاً هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون, وإشراكهم معه الأوثان والأصنام فإن العزّة لله جميعا, يقول تعالى ذكره: فإن الله هو المنفرد بعزّة الدنيا والآخرة لا شريك له فيها, وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون, فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد, لأنه لا يعازه شيء. وَهُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه, وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه, محصيّ ذلك عليهم كله, وهو لهم بالمرصاد. وكسرت «إن» من قوله: إنّ العِزّةَ لِلّهِ

جَمِيعا لأن ذلك خبر من الله مبتدأ, ولم يعمل فيها القول, لأن القول عني به قول المشركين وقوله: إنّ العِزّةَ لِلّهِ جَمِيعا لم يكن من قيل المشركين, ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه.

الآية : 66

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلآ إِنّ للّهِ مَن فِي السّمَاوَات وَمَنْ فِي الأرْضِ وَمَا يَتّبِعُ الّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتّبِعُونَ إِلاّ الظّنّ وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ألا إنّ لِلّهِ يا محمد كلّ مَنْ فِي السّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ملكا وعبيدا لا مالك لشيء من ذلك سواه, يقول: فكيف يكون إلها معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام, وهي لله ملك, وإنما العبادة للمالك دون المملوك, وللربّ دون المربوب. وَما يَتّبِعُ الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ شُرَكاءَ يقول جلّ ثناؤه: وأيّ شيء يتبع من يدعو من دون الله, يعني غير الله وسواه شركاء. ومعنى الكلام: أيّ شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا, والله المنفرد بملك كلّ شيء في سماء كان أو أرض. إنْ يَتّبِعُونَ إلاّ الظّنّ يقول: ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظنّ, يقول: إلا الشكّ لا اليقين. وَإنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ يقول: وإن هم يتقوّلون الباطل تظننا وتخرّصا للإفك عن غير علم منهم بما يقولون.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الّلّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنّهَارَ مُبْصِراً إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هُوَ الربّ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللّيْلَ وفصله من النهار, لِتَسْكُنُوا فِيهِ مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب, وتهدءوا فيه من التصرّف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار. والنّهارَ مُبْصِرا يقول: وجعل النهار مبصرا, فأضاف الإبصار إلى النهار, وإنما يبصر فيه, وليس النهار مما يُبْصِر ولكن لمّا كان مفهوما في كلام العرب معناه, خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم, وذلك كما قال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمّ غَيْلانَ فِي السّرَىونِمْتِ وَما لَيْلُ المَطِيّ بِنائِمِ

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به, ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره. يقول تعالى ذكره: فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون, لا ما لا ينفع ولا يضرّ ولا يفعل شيئا.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ يقول تعالى ذكره: إن في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما دلالة وحججا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك, هو الذي خلق اللّيل والنهار وخالف بينهما, بأن جعل هذا للخلق سكنا وهذا لهم معاشا, دون من لا يخلق ولا يفعل شيئا ولا يضرّ ولا ينفع. وقال: لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ لأن المراد منه: الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها فيعتبرون بها ويتعظون, ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ثم يعرضون عن عبره وعظاته.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ اتّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيّ لَهُ مَا فِي السّمَاوَات وَمَا فِي الأرْضِ إِنْ عِندَكُمْ مّن سُلْطَانٍ بِهَـذَآ أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد: اتخذ الله ولدا, وذلك قولهم: الملائكة بنات الله. يقول الله منزّها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك: سبحان الله, تنزيها لله عما قالوا وادّعوا على ربهم. هُوَ الغَنِيّ يقول: الله غنيّ عن خلقه جميعا, فلا حاجة به إلى ولد, لأن الولد إنما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له في حياته وذكرا له بعد وفاته, والله عن كلّ ذلك غنيّ, فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد فيكون به حاجة إلى خلف بعده. لَهُ ما فِي السّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ يقول تعالى ذكره: لله ما في السماوات وما في الأرض ملكا والملائكة عباده وملكه, فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا؟ يقول: أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون؟ إنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهَذَا يقول: ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها, وهي السلطان. أتَقُولُون على الله قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته, وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه جهلاً منكم بغير حجة ولا برهان.

الآية : 69-70

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّ الّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدّنْيَا ثُمّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهم إنّ الّذِينَ يَفْتَرونَ على الله الكَذبَ فيقولون عليه الباطل, ويدّعون له ولدا لا يُفْلحُونَ يقول: لا يبقون في الدنيا, ولكن لهم مَتاعٌ فِي الدّنْيا يُمتّعون به, وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه. ثمّ إلَيْنا مَرْجِعُهُمْ يقول: ثم إذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم إلينا مصيرهم ومنقلبهم. ثمّ نُذِيقُهُم العَذَاب الشّدِيد وذلك إصلاؤهم جهنم بِمَا كانُوا يَكْفُرونَ بالله في الدنيا, فيكذّبون رسله ويجحدون آياته. ورفع قوله: متاعٌ بمضمر قبله إما «ذلك» وإما «هذا».

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكّلْتُ فَأَجْمِعُوَاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمّةً ثُمّ اقْضُوَاْ إِلَيّ وَلاَ تُنظِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واتل على هؤلاء المشركين الذي قالوا: اتخذ الله ولدا من قومك نَبَأَ نُوحٍ يقول: خبر نوح, إذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَقامي يقول: إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشقّ عليكم, وَتَذْكِيرِي بآياتِ اللّهِ يقول: ووعظي إياكم بحجج الله, وتنبيهي إياكم على ذلك. فَعَلَى اللّهِ تَوَكّلْت يقول: إن كان شقّ عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري بآيات الله فعزمتم على قتلي أو طردي من بين أظهركم, فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندي وظهري. فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ يقول: فأعدّوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه في أمري يقال منه: أجمعت على كذا, بمعنى: عزمت عليه, ومنه قول النبيّ صلى الله

عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يُجْمِعْ على الصّوْمِ مِنَ اللّيْلِ فَلا صَوْمَ لَهُ» بمعنى: من لم يعزم, ومنه قول الشاعر:

يا لَيْتَ شِعْرِي والمُنَى لا تَنْفَعُهَلْ أغْدُوَنْ يَوْما وأمْرِي مُجْمَعُ

ورُوي عن الأعرج في ذلك ما:

13821ـ حدثني بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون, عن أسيد, عن الأعرج: فَأجْمِعُوا أمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ يقول: أحكموا أمركم وادعوا شركاؤكم.

ونصب قوله: وشُرَكاءَكُمْ بفعل مضمر له, وذلك: وادعوا شركاءكم, وعطف بالشركاء على قوله: أمْرَكُمْ على نحو قول الشاعر:

ورأيْتُ زَوْجَكَ فِي الوَغَىمُتَقَلّدا سَيْفا وَرُمْحا

فالرمح لا يتقلد, ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف, فاكتفي بذكر ما ذكر منه مما حذف, فكذلك ذلك في قوله: وَشُرَكاءَكُمْ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته قراء الأمصار: وشَرَكاءَكُمْ نصبا, وقوله: فَأجْمِعُوا بهمز الألف وفتحها, من أجمعت أمري فأنا أجمعه إجماعا. وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: فأجمِعوا أمْرَكُمْ بفتح الألف وهمزها «وَشُرَكاؤُكُمْ» بالرفع على معنى: وأجمعوا أمركم, وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم.

والصواب من القول في ذلك قرارة من قرأ: فَأجْمِعُوا أمْرَكُمُ وَشُرَكاءَكُمْ بفتح الألف من «أجمعوا», ونصب «الشركاء», لأنها في المصحف بغير واو, ولإجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها, ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو. وعني بالشركاء آلهتهم وأوثانهم.

وقوله: ثُمّ لا يَكُنْ أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمّة يقول: ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلاً مبهما من قولهم: غُمّ على الناس الهلال, وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبيّنوه, ومنه قول العجاج:

بَلْ لَوْ شَهِدْتِ النّاسَ إذْ تُكُمّوابِغُمّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرّجْ غُمّوا

وقيل: إن ذلك من الغمّ, لأن الصدر يضيق به ولا يتبين صاحبه لأمره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه, ومنه قول خنساء:

وذِي كُرْبَةٍ ابنْ عَمْرٍو خِناقَهُوغُمّتَهُ عَنْ وَجُهِهِ فَتَجَلّتِ

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

13822ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمّةٌ قالا: لا يكبر عليكم أمركم.

وأما قوله: ثُمّ اقْضُوا إليّ فإن معناه: ثم امضوا إليّ ما في أنفسكم وافرغوا منه. كما:

13823ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ثُمّ اقْضُوا إليّ وَلا تُنْظِرُونَ قال: اقضوا إليّ ما كنتم قاضين.

13824ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ثُم اقْضُوا إليّ وَلا تُنْظِرُونِ قال: اقضوا إليّ ما في أنفسكم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله: ثُمّ اقْضُوا إليّ فقال بعضهم: معناه: امضوا إليّ, كما يقال: قد قضى فلان, يراد: قد مات ومضى.

وقال آخرون منهم: بل معناه: ثم افرغوا إليّ, وقالوا: القضاء: الفراغ, والقضاء من ذلك. قالوا: وكأن قضى دينه من ذلك إنما هو فرغ منه. وقد حُكي عن بعض القرّاء أنه قرأ ذلك: «ثُمّ أفْضُوا إليّ» بمعنى: توجهوا إليّ حتى تصلوا إليّ, من قولهم: قد أفضى إليّ الوجع وشبهه. وقوله: ولا تُنْظِرُونِ يقول: ولا تؤخرون, من قول القائل: أنظرت فلانا بما لي عليه من الدين. وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه: إنه بنصرة الله له عليهم واثق ومن كيدهم وتواثقهم غير خائف, وإعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضرّ ولا تنفع, يقول لهم: امضوا ما تحدّثون أنفسكم به فيّ على عزم منكم صحيح, واستعينوا من شايعكم علي بآلهتكم التي تدعون من دون الله, ولا تؤخروا ذلك فإني قد توكلت على الله وأنا به واثق أنكم لا تضرّوني إلا أن يشاء ربي. وهذا وإن كان خبرا من الله تعالى عن نوح, فإنه حثّ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسّي به وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن تَوَلّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه: فإن توليتم أيها القوم عني بعد دعائي إياكم وتبليغ رسالة ربي إليكم مدبرين, فأعرضتم عما دعوتكم إليه من الحقّ والإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وترك إشراك الآلهة في عبادته, فتضييع منكم وتفريط في واجب حقّ الله عليكم, لا بسبب من قِبَلي فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرا ولا عوضا أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحقّ والهُدى, ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء. إنْ أجْرِيَ إلاّ على اللّهِ يقول جلّ ثناؤه: إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي لَا عليكم أيها القوم ولا على غيركم. وأُمِرْتُ أن أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ وأمرني ربي أن أكون من المذعنين له بالطاعة المنقادين لأمره ونهيه المذللين له, ومن أجل ذلك أدعوكم إليه وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَذّبُوهُ فَنَجّيْنَاهُ وَمَن مّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فكذّب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحي, فنجيناه ومن معه ممن حمل معه في الفلك, يعني في السفينة, وجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ يقول: وجعلنا الذين نجينا مع نوح في السفينة خلائف في الأرض من قومه الذين كذّبوه بعد أن أغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا, يعني حججنا وأدلتنا على توحيدنا, ورسالة رسولنا نوح. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين, وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام, يقول له جلّ ثناؤه: انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم, فإن عاقبة من كذّبك من قومك أن

تمادوا في كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذي كان من عاقبة قوم نوح حين كذّبوه, يقول جلّ ثناؤه: فليحذروا أن يحلّ بهم مثل الذي حلّ بهم إن لم يتوبوا.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىَ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُمْ بِالْبَيّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىَ قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى قومهم, فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم, وأنهم لله رسل, وأن ما يدعونهم إليه حقّ. فما كَانُوا ليُؤْمِنُوا بما كَذّبُوا به مِنْ قَبْلُ يقول: فما كانوا ليصدّقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذّب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم. كذلكَ نَطْبَعُ على قُلُوبِ المُعْتَدِينَ يقول تعالى ذكره: كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام, كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه, فتجاوز ما أمره به من توحيده, وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته, عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِمْ مّوسَىَ وَهَارُونَ إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مّجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر ومَلِئه, يعني: وأشراف قومه وسادتهم, بآياتنَا يقول: بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعبودة, والإقرار لهما بالرسالة. فْاسَتكبُروا, يقول: فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون. وكَانوا قَوْما مُجْرمينَ, يعني: آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى.

الآية : 76-77

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا جَآءَهُمُ الْحَقّ مِنْ عِندِنَا قَالُوَاْ إِنّ هَـَذَا لَسِحْرٌ مّبِينٌ * قَالَ مُوسَىَ أَتقُولُونَ لِلْحَقّ لَمّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السّاحِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَلَمّا جاءَهُم الحَقّ مِنْ عِنْدِنا يعني: فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون, وذلك الحجج التي جاءهم بها, وهي الحقّ الذي جاءهم من عند الله قالُوا إنّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ يعنون: أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له. قالَ مُوسَى لهم: أتَقُولُونَ للْحَقّ لَمَا جَاءكُمْ من عند الله: أسِحْرُ هَذَا؟.

واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله: أسِحْرٌ هَذَا, فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لأنهم قالوا: أسحر هذا؟ فقال: أتقولون: أسحر هذا؟ وقال بعض نحويي الكوفة: إنهم قالوا هذا سحر, ولم يقولوه بالألف, لأن أكثر ما جاء بغير ألف. قال: فيقال: فلم أدخلت الألف؟ فيقال: قد يجوز أن تكون من قيلهم وهم يعلمون أنه

سحر, كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته: أحقّ هذا؟ وقد علم أنه حقّ. قال: قد يجوز أن تكون على التعجب منهم: أسحر هذا, ما أعظمه
وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المقول محذوفا, ويكون قوله: أَسِحْرٌ هَذَا من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه قولهم للحقّ لما جاءهم سحر, فيكون تأويل الكلام حينئذ: قال موسى لهم: أتَقُولُونَ للحَقّ لما جاءَكُمْ وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه, سحر, أسحر هذا الحقّ الذي ترونه؟ فيكون السحر الأوّل محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أَسِحْرٌ هَذَا على أنه مراد في الكلام, كما قال ذو الرمّة:
فَلَمّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أوْ حِينَ نَصّبَتْلهُ من خَذَا آذَانها وَهْوَ جانِحُ
يريد: «أو حين أقبل», ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه, وكما قال جلّ ثناؤه: فإذَا جاءَ وَعْد الآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ والمعنى: بعثناهم ليسوؤا وجوهكم, فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه, في أشباه لما ذكرنا كثيرة يُتعب إحصاؤها. وقوله: ولا يُفْلِحُ السّاحِرُونَ يقول: ولا ينجح الساحرون ولا يبقون.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي الأرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره: قال فرعون وملؤه لموسى: أجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا يقول: لتصرفنا وتلوينا, عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا من قبل مجيئك من الدين يقال منه: لفت فلان عنق فلان إذا لواها, كما قال ذو الرمّة:
(لَفْتا وتَهْزِيعا سَوَاءَ اللَّفْتِ)
التّهْزِيع: الدّقّ, واللّفْتُ: اللّيّ. كما:
13825ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لِتَلْفِتَنا قال: لتلوينا عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا.
وقوله: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ يعني العظمة, وهي الفعلياء من الكبر. ومنه قول ابن الرقاع:
سُؤْدُدا غيرَ فاحِشٍ لا يُدَانِيهِ تَجْبَارُهُ وَلا كِبْرِياءُ
13826ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ قال: الملك.
قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مجاهد: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ قال: السلطان في الأرض.
قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: بلغني, عن مجاهد, قال: الملك في الأرض.
13827ـ قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ قال: الطاعة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأرْضِ قال: الملك.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: السلطان في الأرض.

وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني, وذلك أن الملك سلطان, والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب, ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك. وقوله: وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ يقول: وما نحن لكما يا موسى وهارون بمؤمنين, يعني بمقرّين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

الآية : 79-80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمّا جَآءَ السّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مّوسَىَ أَلْقُواْ مَآ أَنتُمْ مّلْقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لقومه: ائتوني بكلّ من يسحر من السحرة, عليم بالسحر. فلما جاء السحرة فرعون, قال موسى: ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم وفي الكلام محذوف قد ترك, وهو: فأتوه بالسحرة فلما جاء السحرة ولكن اكتفى بدلالة قوله: فَلَمّا جاءَ السّحَرَةُ على ذلك, فترك ذكره. وكذلك بعد قوله: أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ محذوف أيضا قد ترك ذكره, وهو: «فألقوا حبالهم وعصيهم, فلما ألقوا قال موسى» ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه, فترك ذكره.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّآ أَلْقُواْ قَالَ مُوسَىَ مَا جِئْتُمْ بِهِ السّحْرُ إِنّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فَلَمّا أَلْقَوْا ما هم ملقوه قالَ لهم مُوسَى ما جِئْتُمْ بِهِ السّحْرُ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ما جِئْتُمْ بِهِ السّحْرُ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم, قال موسى: الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر. وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين: «ما جئْتُمْ بِهِ آلسّحْرُ» على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به, أسحر هو أم غيره؟

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام, لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه أيّ هو, وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة, إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحقّ الذي كان الله آتاه, فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل, فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحقّ الذي أتاه ومبطل كيدهم بجدّه, وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآخرى.

فإن قال قائل: فما وجه دخول الألف واللام في السحر إن كان الأمر على ما وصفت وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا: ما جاءني به عمرو درهم, والذي أعطاني أخوك دينار, ولا يكادون أن يقولوا الذي أعطاني أخوك الدرهم, وما جاءني به عمرو الدينار؟ قيل له: بلى كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر ما والذي إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب, بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام, لأن الخبر حينئذ

خبر عن شيء بعينه معروف عند الفريقين وإنما يأتي ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شيء بعينه, فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر, وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة, وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علما له على صدقه ونبوته إلى أنه سحر, فقال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة, هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا. ثم أخبرهم أن الله سيبطله. فقال: إنّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ يقول: سيذهب به, فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شيء. إنّ اللّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ يعني: أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه. وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبيّ بن كعب: «ما أتيتم به سحر», وفي قراءة ابن مسعود: «ما جئتم به سحر», وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذي اخترنا من القراءة فيه.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُحِقّ اللّهُ الْحَقّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى أنه قال للسحرة: ويُحِقّ اللّهُ الحَقّ يقول: ويثبت الله الحق الذي جئتكم به من عنده, فيعليه على باطلكم, ويصححه بكلماته, يعني بأمره وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ يعني الذين اكتسبوا الإثم بربهم بمعصيتهم إياه.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىَ إِلاّ ذُرّيّةٌ مّن قَوْمِهِ عَلَىَ خَوْفٍ مّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأرْضِ وَإِنّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة إلا ذرية من قومه خائفين من فرعون وملئهم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذرّية في هذا الموضع, فقال بعضهم: الذرية في هذا الموضع: القليل. ذكر من قال ذلك:

13828ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ قال: كان ابن عباس يقول: الذرية: القليل.

13829ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ الذرّيّة: القليل, كما قال الله تعالى: كمَا أنْشأَكُمْ مِنْ ذُرّيّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل لطول الزمان لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء, فقيل لهم ذرّية, لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام. ذكر من قال ذلك:

13830ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, في قوله تعالى: فَمَا آمَنَ

لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ قال: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وحدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ قال: أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم.
13831ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أنْ يَفْتِنَهُمْ قال: أبناء أولئك الذين أرسل إليهم فطال عليهم الزمان وماتت آباؤهم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرّية من قوم فرعون. ذكر من قال ذلك:
13832ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاّ ذُرّيّةٌ مِن قَوْمِهِ على خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أنْ يَفْتِنَهُمْ قال: كانت الذرّية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير, منهم امرأة فرعون, ومؤمن آل فرعون, وخازن فرعون, وامرأة خازنه.
وقدرُوي عن ابن عباس خبر يدلّ على خلاف هذا القول, وذلك ما:
13833ـ حدثني به المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ذُرّيّةٌ مِنْ قَوْمِهِ يقول: بني إسرائيل.
فهذا الخبر ينبىء عنه أنه كان يرى أن الذرّية في هذا الموضع هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون.
وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد, وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل, فهلكوا قبل أن يقرّوا بنبوّته لطول الزمان, فأدركت ذرّيتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى.
وإنما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى, فلأن تكون الهاء في قوله «من قومه» من ذكر موسى لقربهم من ذكره, أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبُعد ذكره منها, إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر.
وبعد, فإن في قوله: عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ الدليل الواضح على أن الهاء في قوله: إلاّ ذُرّيّةٌ مِنْ قَوْمِهِ من ذكر موسى لا من ذكر فرعون لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام: «على خوف منه», ولم يكن على خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ.
وأما قوله: عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرّية قوم موسى بموسى.
فتأويل الكلام: فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه من بني إسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم. وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل: فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه, لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط, فقيل لهم الذرّية من أجل

ذلك, كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم: أبناء. والمعروف من معنى الذرّية في كلام العرب: أنها أعقاب من نسبت إليه من قِبَل الرجال والنساء, كما قال جلّ ثناؤه: ذُرّيّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوح وكما قال: وَمنْ ذُرّيَتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيمانَ وأيّوبَ وَيُوسُفَ ثم قال بعد: وَزَكَرِيّا وَيَحْيى وَعِيسَى وَإلْيَاسَ فجعل من كان من قِبَل الرجال والنساء من ذرّية إبراهيم.

وأما قوله: وَمَلَئِهِمْ فإن الملأ: الأشراف. وتأويل الكلام: على خوف من فرعون ومن أشرافهم.

واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله: وَمَلَئِهِمْ فقال بعض نحويي البصرة: عني بها الذرّية. وكأنه وجه الكلام إلى: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه, على خوف من فرعون, وملأ الذرية من بني إسرائيل. وقال بعض نحويي الكوفة: عني بهما فرعون, قال: وإنما جاز ذلك وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر لخوف أو سفر وقدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه. وقال: ألا ترى أنك تقول: قدم الخليفة فكثر الناس, تريد بمن معه, وقدم فغلت الأسعار؟ لأنا ننوي بقدومه قدوم من معه. قال: وقد يكون يريد أن بفرعون آل فرعون, ويحذف آل فرعون فيجوز, كما قال: وَاسْئَلِ القَرْيَةَ يريد أهل القرية, والله أعلم. قال: ومثله قوله: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الهاء والميم عائدتان على الذرية. ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون, وملأ الذرّية لأنه كان في ذرّية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطيّا وأمه إسرائيلية, فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى. وقوله: أنْ يَفْتِنَهُمْ يقول: كان إيمان من آمن من ذرّية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب, فيصدّهم عن دينهم, ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله. وقال: أنْ يَفْتِنَهُمْ فوحد ولم يقل: «أن يفتنوهم», لدليل الخبر عن فرعون بذلك أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدّم من قوله: عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ. وقوله: وَإنّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الأرْض يقول تعالى ذكره: وإن فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه. وإنّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل, وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به وجحوده وحدانية الله وادّعاؤه لنفسه الألوهة وسفكه الدماء بغير حلها.

الآية : 84

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىَ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مّسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه: يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وصدّقتم بربوبيته. فَعَلَيْهِ تَوَكّلُوا يقول: فبه فثقوا, ولأمره فسلّموا, فإنه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه. وإنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ يقول: إن كنتم مذعنين لله بالطاعة, فعليه توكلوا.

الآية : 85

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالُواْ عَلَىَ اللّهِ تَوَكّلْنَا رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لّلْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فقال قوم موسى لموسى: عَلى اللّهِ تَوَكّلْنا أي به وثقنا, وإليه فوّضنا أمرنا. وقوله: رَبّنا لا تجعلنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا: يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين, ولا تمتحنهم بنا يعنون قوم فرعون.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سألوه ربهم من إعادته ابتلاء قوم فرعون بهم, فقال بعضهم: سألوه أن لا يظهرهم عليهم, فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم إنما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين. ذكر من قال ذلك:

13834ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عمران بن حدير, عن أبي مجلز, في قوله: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن عمران بن حدير, عن أبي مجلز في قوله: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: قالوا: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا.

13835ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبيه, عن أبي الضحى: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ذكر من قال ذلك:

13836ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح عن مجاهد, في قوله: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: لا تسلطهم علينا فيضلونا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله. وقال أيضا: فيفتنونا.

13837ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ لا تعذّبنا بأيدي قوم فرعون, ولا بعذاب من عندك, فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حقّ ما سلطنا عليهم ولا عذّبوا, فيفتنوا بنا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: لا تعذبّنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك, فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حقّ ما سلطنا عليهم ولا عذّبوا, فيفتتنوا بنا.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, قوله: لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ قال: لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم فيفتتنوا ويقولوا: لو كانوا على حقّ ما سلطنا عليهم وما عذّبوا.

13838ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله تعالى: رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً للقَوْمِ الظّالِمِينَ لا تبتلنا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة. وقرأ: فِتْنَةً للظّالمينَ قال المشركون حين كانوا يؤذون النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويرمونهم:: أليس ذلك فتنة لهم, وسوءا لهم؟ وهي بلية للمؤمنين.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن القوم رغبوا إلى الله في أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء, ولك ما كان لهم مَصَدّة عن اتباع موسى والإقرار به وبما جاءهم به, فإنه لا شكّ أنه كان لهم فتنة, وكان من أعظم الأمور لهم إبعادا من الإيمان بالله ورسوله. وكذلك من المَصَدّة كان لهم عن الإيمان, أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة في أنفسهم من بلية تنزل بهم, فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادا لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ونجنا يا ربنا برحمتك, فخلّصنا من أيدي القوم الكافرين قوم فرعون لأنهم كان يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القذرة من خدمتهم.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذ لقومكما بمصر بيوتا, يقال منه: تبوأ فلان لنفسه بيتا: إذا اتخذه, وكذلك تبوأ مصحفا: إذا اتخذا, وبوأته أنا بيتا: إذا اتخذته له. وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً يقول: واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

13839ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان عن حميد, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: مساجد.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: أمروا أن يتخذوها مساجد.

13840ـ قال: حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل, قال: حدثنا زهير, قال: حدثنا خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله تعالى: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا, فقال لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة, يقول: اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها.

13841ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا خائفين, فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

13842ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شبل, عن خصيف, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

13843ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا لا يصلون إلا في البيع, وكانوا لا يصلون إلا خائفين, فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

قال: حدثنا جرير عن ليث, عن مجاهد, قال: كانوا خائفين, فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

13844ـ قال: حدثنا عبد الله, عن إسرائيل, عن السدي, عن أبي مالك: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون, فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها.

13845ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً يقول: مساجد.

قال: حدثنا أحمد بن يونس, قال: حدثنا إسرائيل, عن منصور, عن إبراهيم: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا يصلون في بيوتهم يخافون.

13846ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن الحباب, عن أبي سنان, عن الضحاك: أنْ تَبَوّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتا قال: مساجد.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: كانوا خائفين, فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

13847ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: قال أبي زيد: اجعلوا في بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة.

وقال آخرون: معنى ذلك: واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة. ذكر من قال ذلك:

13848ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن المنهال, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً يعني الكعبة.

13849ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وأقِيمُوا الصّلاةَ وَبَشّر المُؤْمِنِينَ قال: قالت بنو إسرائيل لموسى: لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة. فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم, وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة.

13850ـ حدثنا القاسم. قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس في قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً يقول: وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة, ألا ترى أنه يقول: فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللّهُ أنْ تَرْفَعَ؟

13851ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: قبل القبلة.

13852ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: نحو الكعبة, حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة, فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرّا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ثم ذكر مثله سواء.

13853ـ قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وأوْحَيْنا إلى مُوسَى وأخِيهِ أنْ تَبَوّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتا مساجد.

13854ـ قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: في قوله: أنْ تَبَوّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتا قال: مصر, الإسكندرية.
13855ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأوْحَيْنا إلى مُوسَى وأخِيهِ أنْ تَبَوّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: وذلك حين منعهم فرعون الصلاة, فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة.
13856ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: نحو القبلة.
13857ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق, عن أبي سنان, عن الضحاك: وأوْحَيْنا إلى مُوسَى وأخِيهِ أنْ تَبَوّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتا قال: مساجد. وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: قبل القبلة.
وقال آخرون: معنى ذلك: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا. ذكر من قال ذلك:
13858ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: يقابل بعضها بعضا.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي قدمنا بيانه وذلك أن الأغلب من معاني البيوت وإن كانت المساجد بيوتا, البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لأن المساجد لها اسم هي به معروفة خاصّ لها, وذلك المساجد. فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء, فالبيوت المسكونة, وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس إياها في قِبَل المساجد وللصلوات. فإذا كان ذلك كذلك, وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك, ولم يكن على قوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب, لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا. وكذلك القول في قوله: قِبْلَةً وأقِيمُوا الصّلاةَ يقول تعالى ذكره: وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها. وقوله: وَبَشّرِ المُومِنِينَ يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام: وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىَ رَبّنَآ إِنّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا رَبّنَا لِيُضِلّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبّنَا اطْمِسْ عَلَىَ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتّىَ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ }.
يقول تعالى ذكره: وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم, وهم الملأ, زينة من متاع الدنيا وأثاثها, وأموالاً من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا. رَبّنا لِيُضِلّوا عَنْ سَبِيلِكَ يقول موسى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعضهم: لِيُضِلّوا عَنْ سَبِيلِكَ بمعنى: ليضلوا الناسَ عن سبيلك, ويصدّوهم عن دينك.
وقرأ ذلك آخرون: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» بمعنى: ليضلوا هم عن سبيلك, فيَجوروا عن طريق الهدى.

فإن قال قائل: أفكان الله جلّ ثناؤه أعطى فرعون وقومه ماأعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليُضلوا الناس عن دينه, أو ليَضلوا هم عنه؟ فإن كان لذلك أعطاهم ذلك, فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله, فلا عتب عليهم في ذلك؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت.

وقد اختلفت أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله: لِيُضِلّوا فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ربنا فضلوا عن سبيلك, كما قال: فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّا وَحَزَنا أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون عدوا وحزنا, وإنما التقطوه فكان لهم. قال: فهذه اللام تجيء في هذا المعنى. وقال بعض نحويي الكوفة: هذه اللام لام كي ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا, ثم دعا عليهم وقال آخر: هذه اللامات في قوله «ليضلوا» و «ليكون لهم عدوّا», وما أشبهها بتأويل الخفض: آتيتهم ما أتيتهم لضلالهم, والتقطوه لكونه لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك. والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض, ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى, قال الله تعالى: سَيَحْلِفُونَ باللّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ أي لإعراضكم, ولم يحلفوا لإعراضهم وقال الشاعر:

سَمَوْتَ ولَمْ تَكُنْ أهْلاً لِتَسْمُووَلكنّ المُضَيّعَ قَدْ يُصَابُ

قال: وإنما يقال: وما كنت أهلاً للفعل, ولا يقال لتفعل إلا قليلاً. قال: وهذا منه.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنها لا م كي, ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه, ويُضِلوا عن سبيلك عبادك, عقوبةً منك. وهذا كما قال جلّ ثناؤه: لأَسْقَيْناهُمْ مَاءً غَدَقا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وقوله: رَبّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ هذا دعاء من موسى, دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها, ويبدّلها إلى غير الحال التي هي بها, وذلك نحو قوله: مِنْ قَبْل أنْ نَطْمِسَ وُجُوها فَنرُدّها على أدْبارِها يعني به: من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها, يقال منه: طمست عينه أطْمِسُها وأطْمُسُها طمسا وطُمُوسا, وقد تستعمل العرب الطّمْس في العُفُوّ والدثور وفي الاندقاق والدروس, كما قال كعب بن زهير:

مِنْ كلّ نَضّاخَةِ الذفْرَى إذا عَرِقَتعُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُولُ

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع, فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا. ذكر من قال ذلك:

13859ـ حدثني زكريا بن يحيى بن زائدة, قال: حدثنا حجاج, قال: ثني ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, قال: بلغنا عن القرظي, في قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ قال: اجعل سكرهم حجارة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن محمد بن القرظيّ, قال: اجعل سكرهم حجارة.

13860ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية: اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ قال: اجعلها حجارة.

13861ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبُو حَذيفة, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس, في قوله: اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ قال: صارت حجارة.

13862ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: بلغنا أن زروعهم تحوّلت حجارة.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة.
13863ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا قبيصة بن عقبة, قال: حدثنا سفيان: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: يقولون: صارت حجارة.
13864ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق. قال: حدثنا يحيى الحماني, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن إسماعيل عن أبي صالح, في قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: صارت حجارة.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: بلغنا أن حروثا لهم صارت حجارة.
13865ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت.
13866ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: قد فعل ذلك, وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم, فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكلّ شيء.
وقال آخرون: معنى ذلك: أهلكها. ذكر من قال ذلك:
13867ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ قال: أهلكها.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.
13868ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: رَبّنا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ يقول: دمر عليهم وأهلك أموالهم.
وأما قوله: وَاشْدُدْ على قُلوبِهِمْ فإنه يعني: واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالإيمان. كما:
13869ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وقال موسى قبل أن يأتي فرعون: ربنا وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ فاستجاب الله له, وحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق, فلم ينفعه الإيمان.
13870ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ يقول: واطبع على قلوبهم, حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ وهو الغرق.
13871ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ بالضلالة.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ قال: بالضلالة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
13872ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ يقول: أهلكهم كفارا.
وأما قوله: فَلا يُوءْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ فإن معناه: فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع. كما:
13873ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلا يُوءْمِنُوا بالله فيما يرون من الآيات, حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: سمعت المنقري يقول: فَلا يُوءْمِنُوا يقول: دعا عليهم.
واختلف أهل العربية في موضع: يُوءْمِنُوا فقال بعض نحويي البصرة: هو نصب لأن جواب الأمر بالفاء أو يكون دعاء عليهم إذا عصوا. وقد حُكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول: هو نصب عطفا على قوله: لِيُضِلّوا عَنْ سَبِيلِكَ. وقال آخر منهم, وهو قول نحويّ الكوفة: موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم, بمعنى: فلا آمنوا, كما قال الشاعر:
فَلا يَنْبَسِطْ مِنْ بينِ عَيْنَيْكَ ما انْزَوَىوَلا تَلْقَنِي إلاّ وأنْفُكَ رَاغِمُ
بمعنى: فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى, ولا لقيتني على الدعاء. وكان بعض نحويّي الكوفة يقول: هو دعاء, كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا. قال: وإن شئت جعلتها جوابا لمسئلته إياه, لأن المسئلة خرجت على لفظ الأمر, فتجعل فلا يُوءْمِنُوا في موضع نصب على الجواب, وليس بسهل. قال: ويكون كقول الشاعر:
يا ناقَ سِيرِي عَنَقا فَسِيحاإلى سُلَيْمَانَ فَنَستَرِيحا
قال: وليس الجواب بسهل في الدعاء لأنه ليس بشرط.
والصواب من القول في ذلك أنه في موضع جزم على الدعاء, بمعنى: فلا آمنوا. وإنما اخترت ذلك لأن ما قبله دعاء, وذلك قوله: رَبّنا اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ على قُلُوبِهِمْ, فإلحاق قوله: فَلا يُوءْمِنُوا إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبهُ وأولى.
وأما قوله: حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ فإن ابن عباس كان يقول: معناه: حتى يروا الغرق.
وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى.
13874ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال ابن عباس: فَلا يُوءْمِنُوا حتى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ قال: الغرق.

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتّبِعَآنّ سَبِيلَ الّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }.

وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم. يقول جلّ ثناؤه: قَالَ الله لهما قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما في فرعون وملئه وأموالهم.

فإن قائل قائل: وكيف نسبت الإجابة إلى اثنين والدعاء إنما كان من واحد؟ قيل: إن الداعي وإن كان واحدا فإن الثاني كان مؤمنا وهو هارون, فلذلك نسبت الإجابة إليهما, لأن المؤمّن داعٍ. وكذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13875ـ حدثني محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جريج, عن رجل, عن عكرمة في قوله: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما قال: كان موسى يدعوا وهارون يؤمّن, فذلك قوله: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما.

وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين, وأنشد في ذلك:

فَقُلْتُ لِصَاحِبي لا تُعْجِلانابِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزّ شِيحَا

13876ـ حدثنا ابن وكيع, قَال: حدثنا زكريا بن عديّ, عن ابن المبارك, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح قال: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما قال: دعا موسى, وأمّن هارُون.

13877ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي وزيد بن حباب, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب, قال: دعا موسى, وأمّن هارون.

قال: حدثنا أبو معاوية, عن شيخ له, عن محمد بن كعب, قال: دعا موسى, وأمّن هارون.

13878ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما قال: دعا موسى, وأمّن هارون.

13879ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, وعبد الله بن أبي جعفر, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, قال: دعا موسى وأمّن هارون, فذلك قوله: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن رجل, عن عكرمة في قوله: قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما قال: كان موسى يدعو وهارون يؤمّن, فذلك قوله قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما.

13880ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما لموسى وهارون. قال ابن جريج: قال عكرمة: أمّن هارون على دعاء موسى, فقال الله: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فاسْتَقِيما.

13881ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كان هارون يقول: آمين, فقال الله: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها.

وأما قوله: فاسْتَقِيما فإنه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرها من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته, إلى أن يأتيهم عقاب الله الذي أخبرهما أنه أجابهما فيه. كما:

13882ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال ابن عباس: فاسْتَقِيما: فامضيا لأمري, وهي الاستقامة.

قال ابن جريج يقولون: إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة.

وقوله: وَلا تَتّبِعانِ سَبِيلَ الّذِينَ لا يَعْلَمُونَ يقول: ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي, فتستعجلان قضائي, فإن وعدي لا خالف له, وإن وعيدي نازل بفرعون وعذابي واقع به وبقومه.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِيَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتّىَ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنّهُ لآ إِلَـهَ إِلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنوَاْ إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يقول: فتبعهم فرعون وَجُنُودُهُ يقال منه: أتبعته وتبعته بمعنى واحد. وقد كان الكسائي فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول: إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرّا فالكلام «أتبعهم» بهمز الألف, وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فإنه من «اتّبعت» مشددة التاء غير مهموزة الألف. بَغْيًا على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسرائيل. وَعَدْوا يقول: واعتداء عليهم, وهو مصدر من قولهم: عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عَدْوا, مثل غزا يغزو غزوا. وقد رُوي عن بعضهم أنه كان يقرأ: «بَغْيا وَعُدُوّا» وهو أيضا مصدر من قولهم: عدا يعدو عدوّا, مثل علا يعلو عُلُوّا. حتى إذَا أدْرَكَهُ الغَرَقُ يقول: حتى إذا أحاط به الغرق. وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك: فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه, فغرّقناه حتى إذَا أدْرَكَهُ الغرق.

وقوله: قالَ آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ وأنا مِن المُسلِمِينَ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة: آمَنْتُ يقول: أقررت, أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأ بعضهم وهو قراءة عامة المدينة والبصرة: «أنه» بفتح الألف من «أنه» على إعمال «آمنت» فيها ونصبها به. وقرأ آخرون: «آمنت إنه» بكسر الألف من أنه على ابتداء الخبر, وهي قراءة عامة الكوفيين.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى, وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13883ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب, عن عبد الله بن شدّاد, قال: اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف, وهم اثنان وسبعون, وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمائة ألف, فلما أدركهم فرعون فرأوه, قالوا: يا موسى أين المخرج؟ فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء؟ فأوحى الله إلى موسى: أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ فَكانَ كُلّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العَظِيمِ ويبس لهم البحر, وكشف الله عن وجه الأرض, وخرج فرعون على فرس حصان أدّهم على لونه من الدهم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدوابّ, وكانت تحت جبريل عليه السلام فرس وديق ليس فيها أنثى غيرها. وميكائيل يسوقهم, لا يشذّ رجل منهم إلا ضمه إلى الناس. فلما خرج آخر بني إسرائيل دنا منه جبريل ولصق به, فوجد الحصان ريح الأنثى, فلم يملك فرعون من أمره شيئا, وقال: أقدموا فليس القوم أحقّ بالبحر منكم ثم

أتبعهم فرعون حتى إذا هم أوّلهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها: آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ ونودي: الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ.

13884ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس. وعن عدّي بن ثابت, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: يرفعه أحدهما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «إنّ جِبْرَائِيلَ كانَ يَدُسّ فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطّينَ مَخافَةَ أنْ يَقُولَ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ».

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا شعبة, عن عطاء بن السائب, عن عديّ بن ثابت, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «جَعَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ يَدُسّ أوْ يَحْشُو فِي فَمِ فِرْعَوْنَ الطّينَ مخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرّحْمَةُ».

13885ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن كثير بن زاذان, عن أبي حازم, عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قالَ لي جِبْرَائِلُ: يا مُحَمّدُ لَوْ رأيْتَنِي وأنا أغُطّهُ وأدُسّ مِنْ حَمْئِهِ فِي فِيهِ مَخافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللّهِ فَيَغْفِرُ لَهُ» يعني فرعون.

13886ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن عليّ بن زيد, عن يوسف بن مهران, عن ابن عباس, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَمّا أغْرَقَ اللّهُ فِرْعَوْنَ قالَ: آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ, فقالَ جِبْرَائيلُ: يا مُحَمّدُ لَوْ رأيْتَنِي وأنا آخِذٌ مِنْ حمأةِ البَحْرِ وأدُسّهُ فِي فِيهِ مخَافَةَ أنْ تُدْرِكَهُ الرّحْمَةُ».

حدثني المثنى, قال: ثني عمرو, عن حكام, قال: حدثنا شعبة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَمّا قالَ فِرْعَوْنُ لا إلهَ إلاّ اللّهُ, جَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَحْشُوا في فِيهِ الطّينَ وَالتّرَابَ».

13887ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: أخبرني من سمع ميمون بن مهران يقول في قوله: آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ قال: أخذ جبرائيل من حمأة البحر فضرب بها فاه أو قال: ملأ بها فاه مخافة أن تدركه رحمه الله.

13888ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الحسين بن علي. عن جعفر بن برقان, عن ميمون بن مهران, قال: خطب الضحاك بن قيس, فحمد الله وأثنى عليه, ثم قال: إن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله, فلما أدركه الغرق قالَ آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ قال الله: الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ.

13889ـ قال: ثني أبي, عن شعبة, عن عديّ بن ثابت, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرائيل يحثو في فيه التراب خشية أن يغفر له.

13890ـ قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن عيسى بن المغيرة, عن إبراهيم التيمي, أن جبرائيل عليه السلام قال: ما خشيت على أحد من بني آدم الرحمة إلا فرعون, فإنه حين قال ما قال خشيت أن تصل إلى الربّ فيرحمه, فأخذت من حمأة البحر وزبده فضربت به عينيه ووجهه.

قال: أخبرنا أبو خالد الأحمر, عن عمر بن يعلى, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: قال جبرائيل عليه السلام: لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته, بتماديه في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه, مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت: آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ له, المنقادين بالذلة له, المعترفين بالعبودية: الآن تقرّ لله بالعبودية, وتستسلم له بالذلة, وتخلص له الألوهة, وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين في الأرض الصّادّين عن سبيله؟ فهلاّ وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقرّ.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنّ كَثِيراً مّنَ النّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لفرعون: فاليوم نجعلك على نجوة الأرض ببدنك, ينظر إليك هالكا من كذّب بهلاكك. لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يقول: لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك, فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعي في أرضه بالفساد. والنجوة: الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض, ومنه قوله أوس بن حجر:

فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِوالمُسْتَكِنّ كمَنْ يَمْشِي بِقرْوَاحِ

وبنحو الذي قلنا في ذلكَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13891ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, عن أبي السليل, عن قيس بن عباد وغيره قال: قالت بنو إسرائيل لموسى: إنه لم يمت فرعون. قال: فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر.

13892ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد الجريري, عن أبي السليل, عن قيس بن عباد, قال: وكان من أكثر الناس, أو أحدث الناس عن بني إسرائيل. قال: فحدثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر هابت الخيل اللهب, قال: ومثل لحصان منها فرس وديق, فوجد ريحها أحسبه أنا قال: فانسل فاتبعته قال: فلما تتامّ آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم, فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون, وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه. قال: فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراءآه بنو إسرائيل.

13893ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب, عن عبد الله بن شداد: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ قال: بدنه: جسده رمى به البحر.

13894ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن مجاهد: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ قال: بجسدك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
13895ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا الأصغر بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, قال: ثني سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لما جاوز موسى البحر بجميع من معه, التقى البحر عليهم يعني على فرعون وقومه فأغرقهم, فقال أصحاب موسى: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق, ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه, فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه.
13896ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يقول: أنكر ذلك طوائف من بني إسرائيل, فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون إليه.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً قال: لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك, فأخرجه الله آية وعظة.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن التيمي, عن أبيه, عن أبي السليل عن قيس بن عباد أو غيره, بنحو حديث ابن عبد الأعلى, عن معمر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ قال: بجسدك.
قال: حدثنا محمد بن بكير, عن ابن جريج, قال: بلغني, عن مجاهد: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ قال: بجسدك.
13897ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: كذب بعض بني إسرائيل بموت فرعون, فرمى به على ساحل البحر ليراه بنو إسرائيل, قال: كأنه ثور أحمر.
وقال آخرون: تنجو بجسدك من البحر فتخرج منه. ذكر من قال ذلك:
13898ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فالْيَوْمَ نُنَجّيكَ بِبَدنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً يقول: أنجى الله فرعون لبني إسرائيل من البحر, فنظروا إليه بعد ما غرق.
فإن قال قائل: وما وجه قوله: ببدنك؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه, فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه ببدنك؟ قيل: كان جائزا أن ينجيه بالبدن بغير روح, ولكن ميتا.
وقوله: وإنّ كَثِيرا مِنَ النّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ يقول تعالى ذكره: وإنّ كَثِيرا مِنَ النّاسِ عَنْ آياتِنَا يعني: عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة, لَغافِلُونَ يقول: لساهون, لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى:
{وَلَقَدْ بَوّأْنَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ مُبَوّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطّيّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتّىَ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ إِنّ رَبّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازل صدق. قيل: عنى بذلك الشأم وبيت المقدس.
وقيل: عنى به الشام ومصر. ذكر من قال ذلك:
13899ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي وأبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك: مُبَوّأ صِدْقٍ قال: منازل صدق: مصر والشام.
13900ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مُبَوّأ صِدْقٍ قال: بوأهم الله الشام وبيت المقدس.
13901ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وَلَقَدْ بَوّأنا بني إسْرَائِيلَ مُبَوّأ صِدْقٍ الشام. وقرأ: إلى الأرْض التي بارَكْنا فِيها للعَالَمِينَ.
وقوله: وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطّيّباتِ يقول: ورزقنا بني إسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب.
وقوله: فَمَا اخْتَلَفُوا حتى جاءَهُمُ العِلْمُ يقول جلّ ثناؤه: فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل, حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوّة محمد والإقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم, فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم, والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلاً, فذلك قوله: فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيّا لله, فوضع العلم مكان المعلوم.
وكان بعضهم يتأوّل العلم ههنا كتاب الله ووحيه. ذكر من قال ذلك:
13902ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَمَا اخْتَلَفُوا حتى جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ قال: العلم: كتاب الله الذي أنزله وأمره الذي أمرهم به, وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الأهواء, هل اقتتلوا إلا على البغي؟ قال: والبغي وجهان: وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها, وبغى في العلم يرى هذا جاهلاً مخطئا ويرى نفسه مصيبا عالما, فيبغي بإصابته وعلمه على هذا المخطىء.
وقوله: إنّ رَبّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل فيك يوم القيامة فيما كانوا فيه من أمري في الدنيا يختلفون, بأن يدخل المكذّبين بك منهم النار والمؤمنين بك منهم الجنة. فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِن كُنتَ فِي شَكّ مّمّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقّ مِن رّبّكَ فَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كنت يا محمد في شكّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوّتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه, لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله

بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
13903ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به, يقول: فاسئلهم إن كنت في شكّ بأنك مكتوب عندهم.
13904ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله تعالى: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: هو عبد الله بن سلام, كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم.
13905ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: هم أهل الكتاب.
13906ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت إبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول: فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ يعني أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب, ممن أدرك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.
فإن قال قائل: أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شكّ من خبر الله أنه حقّ يقين حتى قيل له: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قيل: لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم.
13907ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فقال: لم يشكّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يسأل.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن أبي عوانة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: ما شكّ وما سأل.
13908ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير ومنصور, عن الحسن في هذه الآية, قال: لم يشكّ صلى الله عليه وسلم ولم يسأل.
13909ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا أشُك ولا أسْألُ».
حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فإنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنْزَلْنا إلَيْكَ فاسْئَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا أشُكّ ولا أسألُ».
فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام إذن إن كان الأمر على ما وصفت؟ قيل: قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لملوكه: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري والعبد المأمور بذلك لا يشكّ سيده القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: إن كنت ابني

فبرّني وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه, وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم, وذكرنا ذلك بشواهد, وأن منه قول الله تعالى: وَإِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُونِي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ وقد علم جلّ ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك. وهذا من ذلك, لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا في حقيقة خبر الله وصحته, والله تعالى بذلك من أمره كان عالما, ولكنه جلّ ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا, إذ كان القرآن بلسانهم نزل.

وأما قوله: لَقَدْ جاءَكَ الحَقّ مِنْ رَبّكَ... الآية, فهو خبر من الله مبتدأ, يقول تعالى ذكره: أقسم لقد جاءك الحقّ اليقين من الخبر بأنك لله رسول, وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك, ويجدون نعتك عندهم في كتبهم. فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمْتَرِينَ يقول: فلا تكوننّ مِنَ الشّاكِين في صحة ذلك وحقيقته. ولو قال قائل: إن هذه الآية خوطب بها النبيّ صلى الله عليه وسلم والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوّته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه, تنبيها له على موضع تعرّف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه, كما قال جلّ ثناؤه: يا أيّها النّبِيّ اتّقِ اللّهَ وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ إنّ اللّهَ كانَ عَلِيما حَكِيما كان قولاً غير مدفوعة صحته.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تكوننّ يا محمد من الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته, فتكون ممن غبن حظه وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه.

الآية : 96-97

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ حَقّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلّ آيَةٍ حَتّىَ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأليمَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك, وهي لعنته إياهم بقوله: ألا لَعْنَةُ اللّهِ على الظّالِمِينَ فثبتت عليهم, يقال منه: حقّ على فلان كذا يحقّ عليه: إذا ثبت ذلك عليه ووجب.

وقوله: لا يُوءْمِنُونَ وَلَوْ جاءَتْهُمُ كُلّ آيَةٍ لا يصدقون بحجج الله, ولا يقرّون بوحدانية ربهم ولا بأنك لله رسول, ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الأليم, كما لم يؤمن فرعون وملؤه, إذا حقّت عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الأليم, فحينئذ قال: آمَنْتُ أنّهُ لا إلَهَ إلاّ الّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ حين لم ينفعه قيله, فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك, من عبدة الأوثان وغيرهم, لا يؤمنون بك فيتبعونك إلا في الحين الذي لا ينفعهم إيمانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13910ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أنّ الّذِينَ حَقّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبّكَ لا يُوءْمِنُونَ قال: حقّ عليهم سخط الله بما عصوه.

13911ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إنّ الّذِينَ حَقّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبّكَ لا يُوءْمِنُونَ حقّ عليهم سخط الله بما عصوه.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدّنْيَا وَمَتّعْنَاهُمْ إِلَىَ حِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: فهلا كانت قرية آمنت وهي كذلك فيما ذكر في قراءة أبيّ.

ومعنى الكلام: فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه, فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت, كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيّه واستحقاقه سخط الله بمعصيته. إلاّ قَوْمَ يُونُسَ فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم. فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم, وأخرجهم منهم, وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن قوله: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها بمعنى: فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود, فكيف نصب «قوم» وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا, وأن الصحيح من كلام العرب: ما قام أحد إلا أخوك, وما خرج أحد إلا أبوك؟ قيل: إن ذلك إنما يكون كذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله وذلك أن الأخ من جنس أحد, وكذلك الأب. ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب, وذلك لو قلت: ما بقي في الدار أحد إلا الوتد, وما عندنا أحد إلا كلبا أو حمارا لأن الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد, ومنه قول النابغة الذبياني:

.....أعْيَتْ جوَابا ومَا بالرّبعْ مِنْ أحَدِ

ثم قال:

إلاّ أوارِيّ لأَيا ما أُبَيّنُهاوالنّوءْيُ كالحَوْضِ بالمظلومة الجَلَدِ

فنصب «الأواريّ» إذ كان مستثنى منَ غير جنسه, فكذلك نصب قوم يونس لأنهم أمة غير الأمم الذين استثنوا منهم من غير جنسهم وشكلهم وإن كانوا من بني آدم, وهذا الاستثناء الذي يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع. ولو كان قوم يونس بعض الأمة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا, ولكنهم كما وصفت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13912ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها يقول: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله, إلا قرية يونس.

قال ابن جريج: قال مجاهد: فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها كما نفع قوم يونس إيمانهم إلا قوم يونس.

13913ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونسَ لمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحيَاةِ الدّنْيا وَمَتّعْناهُمْ إلى حِينٍ يقول: لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت, إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم, قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وألهوا بين كل بهيمة وولدها, ثم عجّوا إلى الله أربعين ليلة. فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم, كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم. قال: وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل.

13914ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إلاّ قَوْمَ يُونُسَ قال: بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تلّ وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها يدعون الله أربعين ليلة, حتى تاب عليهم.

13915ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الحميد الحماني, عن إسماعيل بن عبد الملك, عن سعيد بن جبير, قال: غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر.

13916ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن صالح المري, عن قتادة, عن ابن عباس: إن العذاب كان هبط على قوم يونس, حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل, فلما دعوا كشف الله عنهم.

13917ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وإسحاق قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا قال: كما نفع قوم يونس. زاد أبو حذيفة في حديثه قال: لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها, إلا قوم يونس متعناهم.

13918ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, قال: حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فحدث عن قوم يونس حين أنذر قومه فكذّبوه, فأخبرهم أن العذاب يصيبهم ففارقهم, فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب لكنّهم, خرجوا من مساكنهم وصعدوا في مكان رفيع, وأنهم جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب وأن يُرجع إليهم رسولهم. قال: ففي ذلك أنزل: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحياةِ الدّنْيا وَمَتّعْناهُمْ إلى حينٍ فلم تكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة فلما رأى ذلك يونس, لكنه ذهب عاتبا على ربه وانطلق مغاضبا وظنّ أن لن نقدر عليه, حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح. فذكر قصة يونس وخبره.

13919ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, قال: لما رأوا العذاب ينزل فرّقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام, ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا إيمانهم, فرأوا العذاب يكشف عنهم. قال يونس حين كشف عنهم العذاب: أرجع إليهم وقد كذَبتهم؟ وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة, فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه.

13920ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن عبد الملك, عن سعيد بن جبير, قال: لما أرسل يونس إلى

قومه يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه, قال: فدعاهم فأبوا, فقيل له: أخبرهم أن العذاب مصبّحهم فقالوا: إنا لم نجرّب عليه كذبا فانظروا, فإن بات فيكم فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم. فلما كان في جوف الليل أخذ مخلاته فتزوّد فيها شيئا, ثم خرج. فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الإنسان الثوب في القبر, ففرّقوا بين الإنسان وولده وبين البهيمة وولدها, ثم عجوا إلى الله, فقالوا: آمنا بما جاء به يونس وصدّقنا فكشف الله عنهم العذاب, فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئا, قال: جرّبوا عليّ كذبا. فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر.

13921ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: حدثنا ابن مسعود في بيت المال, قال: إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام, ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها, ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه فكفّ عنهم العذاب, وغدا يونس ينظر العذاب فلم ير شيئا, وكان من كذّب ولم تكن له بينة قُتل. فانطلق مغاضبا.

13922ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا صالح المرى, عن أبي عمران الجوني, عن أبي الجلد جيلان قال: لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم, فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فقال: قولوا يا حيّ حين لا حيّ, ويا حيّ محي الموتى, ويا حيّ لا إله إلا أنت فكشف عنهم العذاب ومتّعوا إلى حين.

13923ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: بلغني في حرف ابن مسعود: «فلولا يقول فهلاّ».

وقوله: لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحيَاةِ الدّنْيا يقول: لما صدقوا رسولهم وأقرّوا بما جاءهم به بعد ماأظلهم العذاب وغشيهم أمر الله ونزل بهم البلاء, كشفنا عنهم عذاب الهوان والذلّ في حياتهم الدنيا.

وَمَتّعْناهُمْ إلى حينٍ يقول: وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة, وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ لاَمَنَ مَن فِي الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعاً أَفَأنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وَلَوْ شاءَ يا محمد رَبّكَ لاَمَنَ مَنْ في الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعا بك, فصدّقوك أنك لي رسول وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له حقّ, ولكن لا يشاء ذلك لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولاً أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدّقوك بما بعثك الله به من الهدى والنور إلا من سبقت له السعادة في الكتاب الأوّل قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهنّ, وهؤلاء الذين عجبوا من صدق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بإنذاره ممن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13924ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ شاءَ رَبّكَ لاَمَنَ مَنْ في الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعا وَما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلاّ بإذْنِ اللّهِ ونحو هذا في القرآن, فإن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى, فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأوّل, ولا يضلّ إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأوّل.

فإن قال قائل: فما وجه قوله: لاَمَنَ مَنْ في الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعا؟ فالكلّ يدل على الجميع, والجميع على الكلّ, فما وجه تكرار ذلك وكلّ واحدة منهما تغنى عن الأخرى؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعض نحويي أهل البصرة: جاء بقوله «جميعا» في هذا الموضع توكيدا كما قال: لا تَتّخِذُوا إلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ففي قوله: «إلهين» دليل على الاثنين. وقال غيره: جاء بقوله «جميعا» بعد «كلهم», لأن «جميعا» لا تقع إلا توكيدا, و «كلهم» يقع توكيدا واسما فلذلك جاء ب «جميعا» بعد «كلهم». قال: ولو قيل إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد لجاز ههنا. قال: وكذلك: إلَهيْنِ اثْنَيْنِ العدد كله يفسر به, فيقال: رأيت قوما أربعة, فما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لأنهم يقولون: عندي درهم ودرهمان, فيكفي من قولهم: عندي درهم واحد ودرهمان اثنان, فإذا قالوا دراهم قالوا ثلاثة, لأن الجمع يلتبس والواحد والاثنان لا يلتبسان, لم يثن الواحد والتثنية على تنافي في الجمع, لأنه ينبغي أن يكون مع كلّ واحد واحد, لأن درهما يدلّ على الجنس الذي هو منه, وواحد يدلّ على كلّ الأجناس, وكذلك اثنان يدلان على كل الأجناس, ودرهمان يدلان على أنفسهما, فلذلك جاء بالأعداد لأنه الأصل.

وقوله: أفأنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ويقرّ بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدقك, لا بإكراهك إياه ولا بحرصك على ذلك, أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك مصدّقين على ما جئتهم به من عند ربك؟ يقول له جلّ ثناؤه: فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ والّذِيَ حَقّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبّكَ أنّهم لا يُؤْمِنُونَ.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرّجْسَ عَلَى الّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما كان لنفس خلقتها من سبيل إلى تصديقك يا محمد إلا بإن آذن لها في ذلك, فلا تجهدنّ نفسك في طلب هداها, وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها, ثم خلّها, فإن هداها بيد خالقها.

وكان الثوري يقول في تأويل قوله: إلاّ بأذْنِ اللّهِ ما:

13925ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سفيان, في قوله: وَما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُوءْمِنَ إلاّ بإذْنِ اللّهِ قال: بقضاء الله.

وأما قوله: وَيجْعَلُ الرّجْسَ على الّذِينَ لا يَعْقَلُونَ فإنه يقول تعالى ذكره: إن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك يا محمد, ويأذن له في تصديقك فيصدّقك ويتبعك, ويقرّ بما جئت به من عند ربك, ويجعل الرجس, وهو العذاب, وغضب الله على الذين لا يعقلون يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دلّ بها جلّ ثناؤه على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما دعاهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان.

13926ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَيجْعَلُ الرّجْسَ قال: السخط.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنّذُرُ عَن قَوْمٍ لاّ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك, السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انْظُرُوا أيها القوم ماذَا في السّمَوَاتِ من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها, واختلاف ليلها ونهارها, ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها, و في الأرْضِ من جبالها وتصدّعها بنباتها, وأقوات أهلها, وسائر صنوف عجائبها فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبرا, ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات. يقول الله جلّ ثناؤه: وَما تُغْنِي الآيَاتُ والنّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ يقول جلّ ثناؤه: وما تغنى الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى لهم في أمّ الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدّقون به. وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلّ آيَةٍ حتى يَرَوُا العَذَابَ الأليمِ.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاّ مِثْلَ أَيّامِ الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوَاْ إِنّي مَعَكُمْ مّنَ الْمُنْتَظِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذّرا مشركي قومه من حلول عاجل نقمة بساحتهم نحو الذي حلّ بنظرائهم من قبلهم من سائر الأمم الخالية من قبلهم السالكة في تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربهم سبيلهم: فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذّبون بما جئتهم به من عند الله, إلا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذي كانوا على مثل الذي هم عليه من الشرك والتكذيب الذين مضوا قبلهم فخلَوْا من قوم نوح وعاد وثمود, قل لهم يا محمد: إن كانوا ذلك ينتظرون, فانتظروا عقاب الله إياكم ونزول سخطه بكم, إني من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التي تحل بكم من الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13927ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إلاّ مِثْلَ أيامِ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: وقائع الله في الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود.

13928ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, في قوله: فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إلاّ مِثْلَ أيامِ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فانْتَظِرُوا إني مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ قال: خوّفهم عذابه ونقمته وعقوبته, ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه, فقال الله: ثُمّ نُنَجّي رُسُلَنا والّذِينَ آمَنُوا كذلكَ حَقّا عَلَيْنا نُنْجِ المُؤْمِنينَ.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ نُنَجّي رُسُلَنَا وَالّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله, فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم, ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك, ثم ننجي هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه, كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم. كذلكَ حَقّا عَلَيْنا نُنْجي المُؤْمِنِينَ يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها, كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فننجيك وننجي المؤمنين بك حقّا علينا غير شكّ.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا النّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكّ مّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الّذِي يَتَوَفّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك إن كنتم في شكّ أيها الناس من ديني الذي أدعوكم إليه فلم تعلموا أنه حقّ من عند الله: فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عني شيئا, فتشكوا في صحته. وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف. وإنما معنى الكلام: إن كنتم في شكّ من ديني, لا ينبغي لكم أن تشكوا فيه, وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئا ولا تضرّ ولا تنفع, فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه, لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء وينفعهم ويضرّ من يشاء وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة, وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لبّ وعقل صحيح.

وقوله: وَلكِنْ أعْبُدُ اللّهَ الّذِي يَتَوَفّاكُمْ يقول: ولكن أعبد الله الذي يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم. وأُمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُوءْمِنِينِ يقول: وهو الذي أمرني أن أكون من المصدّقين بما جاءني من عنده.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وأمرت أن أكون من المؤمنين, وأن أقم. و«أن» الثانية عطف على «أن» الأولى. ويعني بقوله: أقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ أقم نفسك على دين الإسلام حنيفا مستقيما عليه, غير معوجّ عنه إلى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة وثن. وَلا تَكُونَنّ مِنَ المُشْرِكِينَ يقول: ولا تكوننّ ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والأنداد فتكون من الهالكين.

الآية : 106

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنّكَ إِذاً مّنَ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرّك في دين ولا دنيا, يعني بذلك الآلهة والأصنام, يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرّها, فأنها لا تنفع ولا تضرّ,

فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فإنّكَ إذا مِنَ الظّالِمِينَ يقول: من المشركين بالله, الظالم لنفسه.

الآية : 107

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يصبك الله يا محمد بشدّة أو بلاء فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد. وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ يقول: وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور, فَلا رادَّ لِفَضْلِهِ يقول: فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردّك عنه ولا يحرمكه لأنه الذي بيده السرّاء والضرّاء دون الآلهة والأوثان ودون ما سواه. يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ يقول: يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسرّاء والضرّاء من يشاء ويريد من عباده, وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته, الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذّبه بعد التوبة والإنابة.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا النّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقّ مِن رّبّكُمْ فَمَنُ اهْتَدَىَ فَإِنّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلّ فَإِنّمَا يَضِلّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد للناس يا أيّها النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقّ مِنْ رَبّكُمْ يعني: كتاب الله, فيه بيان كلّ ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم, فَمَنِ اهْتَدَى يقول: فمن استقام فسلك سبيل الحقّ, وصدّق بما جاء من عند الله من البيان. فإنّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ يقول: فإنما يستقيم على الهدى, ويسلك قصد السبيل لنفسه, فإياها يبغي الخير بفعله ذلك لا غيرها. وَمَنْ ضَلَّ يقول: ومن اعوجّ عن الحقّ الذي أتاه من عند الله, وخالف دينه, وما بعث به محمدا والكتاب الذي أنزله عليه. فإنّما يَضِلّ عَلَيْها يقول: فإن ضلاله ذلك إنما يجني به على نفسه لا على غيرها لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوىَ نفسه. وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَما أنا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ يقول: وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم, إنما أمركم إلى الله, وهو الذي يقوّم من شاء منكم, وإنما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به إليكم.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتّبِعْ مَا يُوحَىَ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك وتنزيله الذي ينزله عليك, فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل. وَهُوَ خَيرُ الحاكمينَ يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين. فحكم جلّ ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر, وقتلهم بالسيف, وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا إلى طاعته. كما:

13929ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَاصْبِرْ حتى يَحْكُمَ اللّهَ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ قال: هذا منسوخ حتى يحكم الله, حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم.
والله الموفق للصواب, والحمد لله وحده, والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

سورة هود

مكية

وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها هود

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

{الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ مِن لّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }.

قال أبو جعفر: قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله الر والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ يعني: هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وهو القرآن. ورفع قوله: «كتابٌ» بنية: هذا كتاب. فأما على قول من زعم أن قوله: الر مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن, وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها, وأن معنى الكلام: هذه الحروف كتاب أحكمت آياته, فإن الكتاب على قوله ينبغي أن يكون مرفوعا بقوله: الر.

وأما قوله: أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: تأويله: أحكمت آياته بالأمر والنهي, ثم فصلت بالثواب والعقاب. ذكر من قال ذلك:

13862حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرني أبو محمد الثقفي, عن الحسن, في قوله: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ قال: أحكمت بالأمر والنهي, وفصّلت بالثواب والعقاب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني, عن أبي بكر الهذلي, عن الحسن: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ قال: أحكمت في الأمر والنهي وفصلت بالوعيد.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن رجل, عن الحسن: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ قال: بالأمر والنهي ثُمّ فُصّلَتْ قال: بالثواب والعقاب.

ورُوي عن الحسن قول خلافَ هذا. وذلك ما:

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي بكر, عن الحسن, قال: وحدثنا عباد بن العوّام, عن رجل, عن الحسن: أُحْكِمَتْ بالثواب والعقاب ثُمّ فُصّلَتْ بالأمر والنهي.

وقال آخرون: معنى ذلك: أحكمت آياته من الباطل, ثم فصلت, فبين منها الحلال والحرام. ذكر من قال ذلك:

13930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه, فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

13931ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ قال: أحكمها الله من الباطل, ثم فصلها: بينها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: أحكم الله آياته من الدّخل والخلل والباطل, ثم فصلها بالأمر والنهي. وذلك أن إحكام الشيء إصلاحه وإتقانه, وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذوزيغ أن يطعن فيها من قبله. وأما تفصيل آياته فإنه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهي. وكان بعض المفسرين يفسر قوله: فُصّلَتْ بمعنى: فسرت, وذلك نحو الذي قلنا فيه من القول. ذكر من قال ذلك:

13932ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: ثُمّ فُصّلَتْ قال: فسرت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فُصّلَتْ قال: فسرت.

قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: بلغني, عن مجاهد: ثُمّ فُصّلَتْ قال: فسرت.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال قتادة: معناه: بيّنت, وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل, وهو شبيه المعنى بقول مجاهد.

وأما قوله: مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ فإن معناه: حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها, خبير بما يؤول إليه عواقبها.

13933ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ يقول: من عند حكيم خبير.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ اللّهَ إِنّنِي لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: ثم فصّلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الآلهة والأنداد. ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس: إنني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام, وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والألوهة له.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبّكُمْ ثُمّ تُوبُوَاْ إِلَيْهِ يُمَتّعْكُمْ مّتَاعاً حَسَناً إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى وَيُؤْتِ كُلّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلّوْاْ فَإِنّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: ثم فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم. ويعني بقوله: وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم, فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته.

وقوله: ثُمّ تُوبُوا إِلَيْهِ يقول: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد وبراءتكم من عبادتها. ولذلك قيل: وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ ثُمّ تُوبُوا إِلَيْهِ ولم يقل: وتوبوا إليه لأن التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله, والاستغفار: استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين, والعمل لله لا يكون عملاً له إلا بعد ترك الشرك به, فأما الشرك فإن عمله لا يكون إلا للشيطان, فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك, لأن أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم وهم على شركهم مقيمون.

وقوله: يُمَتّعْكُمْ مَتاعا حَسَنا إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه, فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها, وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

13934ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُمَتّعْكُمْ مَتاعا حَسَنا إلى أجَلٍ مُسَمّى فأنتم في ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه, فإن الله منعم يحبّ الشاكرين وأهل الشكر في مزيد من الله, وذلك قضاؤه الذي قضى. وقوله: إلى أجَلٍ مُسَمّى يعني الموت.

13935ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: الموت.

13936ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إلى أجَلٍ مُسَمّى وهو الموت.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: إلى أجَلٍ مُسَمّى قال: الموت.

وأما قوله: وَيُؤْتِ كُلّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ فإنه يعني: يثيب كلّ من تفضل بفضل ماله أو قوّته أو معروفه على غيره محتسبا مريدا به وجه الله, أجْزَلَ ثوابه وفضله في الآخرة. كما:

13937ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَيُوءْتِ كُلّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ قال: ما احتسب به من ماله, أو عمل بيده أو رجله, أو كلمه, أو ما تطوّع به من أمره كله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد. قال: وحدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بنحوه, إلا أنه قال: أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه, وما تطوّل به من أمره كله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد بنحوه, إلا أنه قال: وما نطق به من أمره كله.

13938ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَيُؤْتِ كُلّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ أي في الآخرة.

وقد رُوي عن ابن مسعود أنه كان يقول في تأويل ذلك ما:

13939ـ حُدثت به عن المسيب بن شريك, عن أبي بكر, عن سعيد بن جبير, عن ابن مسعود, في قوله: وَيُؤْتِ كُلّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ قال: من عمل سيئة كتبت عليه سيئة, ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات. فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات, وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات. ثم يقول: هلك من غلب آحاده أعشاره.

وقوله: وإنْ تَوَلّوْا فإني أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه فأدبروا مولين عن ذلك, فإني أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله, وذلك يَوْمَ تُجْزَى كُلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ. وقال جلّ ثناؤه: وإنْ تَوَلّوْا فإنّ أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَاب يَوْمٍ كَبِيرٍ ولكنه مما قد تقدمه قوله, والعرب إذا قدمت قبل الكلام قولاً خاطبت ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ثم رجعت بعد إلى الخطاب, وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: إلى الله أيها القوم ما بكم ومصيركم, فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام, فإنه مخلدكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه. وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: وهو على إحيائكم بعد مماتكم, وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلا إِنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ }.

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ فقرأته عامة الأمصار: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ على تقدير يفعلون من «ثنيت», والصدور منصوبة.

واختلفت قارئو ذلك كذلك في تأويله, فقال بعضهم: ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره. ذكر من قال ذلك:

13940ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن حصين, عن عبد الله بن شدّاد في قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ قال: كان أحدهم إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عبد الله بن شداد بن الهاد, قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ

لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ قال: من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان المنافقون إذا مرّوا به ثنى أحدهم صدره ويطأطىء رأسه, فقال الله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ... الآية.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن حصين, قال: سمعت عبد الله بن شداد يقول, في قوله: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ قال: كان أحدهم إذا مرّ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ثنى صدره, وتغشى بثوبه كي لا يراه النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله وظنّا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك. ذكر من قال ذلك:

13941ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ قال: شكا وامتراء في الحقّ, ليستخفوا من الله إن استطاعوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ شكّا وامتراء في الحقّ. لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ قال: من الله إن استطاعوا.

13942ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ قال: تضيق شكّا.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ قال: تضيق شكّا وامتراء في الحقّ, قال: لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ قال: من الله إن استطاعوا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

13943ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ قال: من جهالتهم به, قال الله: ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ في ظلمة الليل في أجوف بيوتهم, يَعْلَمُ تلك الساعة ما يُسِرّونَ وَما يُعْلِنُونَ إنّهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصّدُور.

13944ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن أبي رزين: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ قال: كان أحدهم يحني ظهره ويستغشي بثوبه.

وقال آخرون: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى. ذكر من قال ذلك:

13945ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ... الآية, قال: كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله, قال تعالى: ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعْلِنُونَ وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه في نفسه, فإن الله لا يخفى ذلك عليه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ قال: أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرّ في نفسه شيئا وتغطى بثوبه, فذلك أخفى ما يكون, والله يطلع على ما في نفوسهم, والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون.

وقال آخرون: إنما هذا إخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودّة, وأنهم معه وعلى دينه. يقول جلّ ثناؤه: ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله, ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم.

وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

13946ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ قال: هذا حين يناجي بعضهم بعضا. وقرأ: أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ... الآية.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «ألا إنّهُمْ تَثْنَوِنِي صُدُورُهُمْ» على مثال: تَحْلَوِلِي التمرة: تَفْعَوعِل.

13947ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن ابن جريج, عن ابن أبي مليكة, قال: سمعت ابن عباس يقرأ «ألا إنّهُمْ تَثْنَوِنِي صُدُورُهُمْ» قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء.

13948ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول: سمعت ابن عباس يقرؤها: «ألا إنّهُمْ تَثْنَوِنِي صُدُورُهُمْ» قال: سألته عنها, فقال: كان ناس يستحيون أن يتخلّوا فيُفْضُوا إلى السماء, وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء.

ورُوي عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر, وهو ما:

13949ـ حدثنا به محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: أخبرت عن عكرمة, أن ابن عباس, قرأ «ألا إنّهُمْ تَثْنَوِنِي صُدُورُهُمْ» وقال ابن عباس: تثنوني صدورهم: الشك في الله وعمل السيئات. يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يستكبر, أو يستكنّ من الله والله يراه, يَعْلَمُ ما يُسِرّونَ وَما يُعْلِنُونَ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن رجل, عن عكرمة, عن ابن عباس, أنه قرأ: «ألا إنّهُمْ تَثْنَوِنِي صُدُورُهُمْ» قال عكرمة: تثنوني صدورهم, قال: الشك في الله وعمل السيئات, فيستغشي ثيابه ويستكنّ من الله, والله يعلم ما يسرّون وما يعلنون.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, وهو: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ على مثال «يفعلون», والصدور نصب بمعنى: يحنون صدورهم ويكنّونها. كما:

13950ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يقول: يكنّون.

13951ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يقول: يكتمون ما في قلوبهم. أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ ما عملوا بالليل والنهار.

13952ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ألا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يقول: تثنوني صدورُهم.

وهذا التأويل الذي تأوّله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس, إلا أن الذي حدثنا هكذا ذكر القراءة في الرواية. فإذا كانت القراءة التي ذكرنا أولى

القراءتين في ذلك بالصواب لإجماع الحجة من القرّاء عليها. فأولى التأويلات بتأويل ذلك, تأويل من قال: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية, لأن قوله: لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ بمعنى: ليستخفوا من الله, وأن الهاء في قوله: مِنْهُ عائدة على اسم الله, ولم يجر لمحمد ذكر قبل,. فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهي في سياق الخبر عن الله. فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى. وإذا صحّ أن ذلك كذلك, كان معلوما أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به, فلما أخبرهم جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلانيتها على أيّ حال كانوا تغشوا بالثياب أو أظهروا بالبزار, فقال: ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يعني: يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون, يقال منه: استغشى ثوبه وتغشاه, قال الله: واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وقالت الخنساء:

أرْعَى النّجُومَ وَما كُلِّفْتُ رِعْيَتَهاوتارَةً أتَغشّى فَضْلَ أطْمارِى شعي

يَعْلَمُ ما يُسِرّونَ يقول جلّ ثناؤه: يعلم ما يسرّ هؤلاء الجهلة بربهم, الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوه, وما تناجوه بينهم فأخفوه وما يُعْلِنُونَ سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم إنّه عَلِيمٌ بذَاتِ الصّدُورَ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بكلّ ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر وحقّ وباطل وخير وشرّ, وما تستجنّه مما لم يجنه بعد. كما:

13953ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يقول: يغطون رؤسهم.